16 em Année No. 768

Lundi — 22 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٢ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة

— ٥ —

يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٤٥

كان لحديث لقائنا الأول بقية ضاق عن تسجيلها الوقت فى صفحة الأمس فأنا أسجلها ملخصة فى صفحة اليوم .

قلت للآنسة (س) بعد أن قصت علىّ مغامرتها الحمقاء بخروجها من العزبة شريدة ، وسفرها إلى القاهرة فريدة : إن حكايتك فى تحررك من أخيك أشبه بحكاية المعزة (بلانكيت) فى تحررها من سيدها (سيجان)

قالت وما خبر هذه المعزة ؟ قلت : خلاصة خبرها فيما زعم (دوديه) أنها كانت عنزة جميلة الشكل خفيفة الظل ذات قرنين مفوَّفين ، وعينين كحلاوين ، وشعر أبيض ناصع ، وظلف أسود لامع ؛ وأنها كانت تعيش فى حظيرة مولاها عيش الرافهين الأغرار ، تنزو وتلعب فى حبلها الطويل ، وتأكل وتشرب فى مذودها الحافل . وفى ذات يوم أطلت من النافذة فأبصرت الجبل يُوشيه الزهر ، والسهل يغشيه النبات ، فقالت لنفسها : يا لله ! ما أجمل الحياة هناك ! وما أسعد من ترتع فى تلك المروج طليقة من هذا الحبل ! ما للمعز وللحظائر والقيود ؟ إنها بالحمير والبقر أخلق . ومنذ تلك الساعة غرِضت المعزة من المكان ، وبرمت بالقيد ، وعزفت عن الطعام ، حتى هُزل بدنها وشح لبنها . وكان السيد سيجان كلما دخل عليها الحظيرة وجدها جاثمة على الأرض أمام الباب ، تنظر نظر المشوقة ، وتثغو ثغاء الولهى ! فأدرك آخر الأمر أن بها شيئاً تخفيه ، فسألها : ماذا بك يا بلانكيت ؟ لعل حبلك قصير فأطيله ، أو علفك قليل فأزيده ! فقالت المعزة مغضيةً فى غير اكتراث : أرح نفسك يا سيد سيجان ، فليس ما أشكوه قصر الحبل ولا قلة العلف .

— إذن ما ذا تشكين ؟

— أشكو القيد .

— وما ذا تريدين ؟

— أريد الجبل .

— الجبل ؟ ! ألم تسمعى أن هناك الذئب ؟

— بلى سمعت ، ولكن لى قرنين طويلين يخشاهما الأسد .

— ليس قرناك يا مسكينة أطول من قرنى أختك (رينود) ، فقد صاولت الذئب بشجاعة طول الليل ، ولكنه أوطر عليها فى الصباح !

— يا للمسكينة ! ولكن لا بأس . دعنى بربك أجرب حظى مع الذئب يا سيد سيجان

فلما رأى سيجان أن عنزته لا يقنعها المنطق ولا يعظها التاريخ ، حبسها فى حجرة بالحظيرة ثم أغلق عليها الباب ، ولكنه

ن يغلق النافذة ، ففرت منها إلى الجبل ! ورأى الجبل فى
ت غير ما رأى فى سائر المعز من جمال اللون وحسن الشارة
لقاء جميلا ، وأمر أشجاره أن يظللان لها الطريق ، وأزهاره
طرن لها الجو . ووجدت العنزة نفسها مرسلة من كل قيد ؛
ـ ولا حبل ولا جدار ، فأخذت تمرح فى الخلاء الرحب ،
ح فى الكلأ الرطب ، وتوازن فى اشمئزاز بين ضيق الحظيرة
المرج ، وبين تفاهة العلف وصراءة العشب ، فتحمد الله على
ها من نعمة الحرية ومتعة العيش . فلما قضت حاجتها من
والرى ، أخذت تثب فى الهواء ، وتركض على الأرض ،
فوق الصخور ؛ ثم تبلل شعرها بماء الغدير ، وترقد لتجففه
شمس ، ثم تنهض فتصعد فى شعاف الجبل حتى تقف
ـ ، فيخيل إليها من فرط الصلف وسحر الغرور أنها حورية
وملكة واديه ! وبينما هى ترسل النظر الساخر من ذروة
إلى حظيرة سيجان أبصرت قطيعاً من الوعول ينال من
الكرم فتحلب ريقها شرهاً إليه ، وما هى إلا وثبات حتى
على القطيع ففسح لها المجال بأدب ، وقرب إليها النال فى
. ثم وقع بقلبها بعض الوعول فاختلت به ساعة أو ساعتين
ل الغاب . وجملة القول أنها قضت يوماً من أيام الجنة لم تقضه
عنز من عناز سيجان ، ولا نعجة من نعاج داود .

سكن الهواء برد والمساء أقبل ، فخشعت الأصوات ، وسكنت
ت ، وانبعث من جانب الحظيرة بوق السيد سيجان يدعو
إلى الرجوع . حينئذ تذكرت الذئب وقد أنساها إياه
، النهار ولهوه ، فاعتراها شىء من الحيرة والتردد ؛ ولكنها
ت كذلك الوتد والحبل ، فعلت شفتيها وأصمت أذنيها
ت البقاء . وانكفأت بلانكيت تبحث عن مرقد وثير فى
الجبل فرأت بين الأوراق أذنين مصرورتين تحتهما عينان
ن الخطر ، وتقدحان الشرر ، فعلمت أنه الذئب ! وأرادت أن
فى سبيلها ، فضحك منها الذئب حتى بدت أنيابه العُصل ،
ع لسانه الغليظ ؛ فاستيقنت الموت وتذكرت ما سمعته عن
ع العنزة رينود ، فهمت بالاستسلام ؛ ولكن بدا لها أن
، لا لأنها تعتقد أن العنز تقتل الذئب ، ولكن لأنها
كرامتها أن تكون أقل شجاعة من رينود . والحق أن

بلانكيت اضطرت الذئب إلى أن يستريح عشر مرات أثناء المعركة ، وفى كل استراحة كانت تملأ فمها بالعشب الندى ، وترقب طلعة الفجر فى الأفق الحالك ، ثم تعود إلى الصراع ؛ حتى لاح الضوء الشاحب ، وصاح الديك المؤذن ، فخرت شهيدة الحرية بين يدى الذئب وهى تلفظ مع نفسها هذه الجملة :

الحمد لله قد بلغت أمنيتى ، وإن لحقت بى منيتى !

***

قالت الفتاة : قصة طريفة ! ولكنى أعدك ما دمت عندك أن ألزم الحظيرة ولا أفك القيد ولا أخلع الزمام . فقلت لها : لا تنسى يا بنيتى أن حظيرتك عند أخيك لا عندى ، وأن حريتك فى قيده لا فى قيدى ، وأن زمامك بيده لا بيدى . وهيهات أن أكون لك إلا أباً يشفق أو أخاً يعين أو معلماً يرشد. فقالت وهى تمنه عبرة تريد أن تقطُر : ليكن ! حسبى أن أراك وأن أسمعك ! لقد حاولت أن أغويك فلم أستطع ، فحاول أنت أن ترشدنى فلعلك تستطيع . سأجعل فى يديك مقاليد أمرى ، وأودع بين جنبيك مكنون سرى . وسأتبين معالم الطريق فى ضوء مصباحك ، وأنشد سكينة القلب فى ظل جناحك . فقلت لها أعانني الله وأعانك . ثم افترقنا ونفسى تغالب الضلال ونفسها تغالب الهدى ، وما تدرى نفسى ولا نفسها ما ذا نكسب غدا !

يوم الخميس ١٧ مايو سنة ١٩٤٥ :

كان لقاؤنا الثانى فى مطعم الكرسال ظهر هذا اليوم ؛ وكنت قد واعدتها على هذا اللقاء ساعة انصرافنا من جروبى . وكانت هى شديدة الحرص على أن نلتقى كل يوم ، ولكننى أقنعتها بأن نجعل بين اللقاءين أسبوعاً لتعرف فيه خبيئة نفسها ودخيلة هواها ، لتردَ يوم ترد عن بينة ، وتصدر حين تصدر عن بصيرة . سبقتها إلى الموعد فى هذه المرة فتخيرت مائدتنا فى ركن من أركان المطعم الضخم . ولم يكد يطمئن بى الجلوس حتى رأيتها مقبلة فى زينتها الكاملة : فرأسها النفرتيتى الساحر قد خلص من يد الحلاق الساعة ؛ وفستانها الفيروزى الأنيق قد خرج من محل الخياط اليوم ؛ وشنطة يدها اللازوردية المعلقة على

(البقية على صفحة ٣٥١)

الحمادون الثلاثة

للدكتور جواد على

— ٣ —

وننتقل بك أيها القارىء من حياة حماد الراوية وقد سقت لك بعض أخباره إلى حياة حماد آخر هو « حماد عجرد » وهو يفوق المرحوم صاحبنا عبثاً وزندقة ، ولست أقصد من وراء هذا الحديث رواية أخبار الزنادقة ، وإحياء ذكرى الزندقة ، وفى عصرنا من يفوق من ذكرنا عبثاً واستهتاراً وزندقة وتفاخراً بالخروج على أنظمة البلد والمجتمع . ولكننا نقصد من وراء هذه الدراسة إظهار صورة من صور حياة الناس فى ذلك العهد غامضة على كثير من القراء ، ترينا لوناً من ألوان الحياة وفوضوية من تلك الفوضويات التى قوضت دعائم المجتمع العربى القديم .

وحماد عجرد الذى أريد أن أتحدث عنه هو أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفى وقيل الواسطى(١) . وبعد فلا تغرنك هذه الأسماء وهذا النسب الطويل العريض وتلك النسبة العربية التى تتحدث فى الظاهر عن عربية أصيلة وفى الواقع غير ذلك . ولست بمبيح لك سراً إن قلت لك إن الرجل كصاحبه مولى من الموالى ، من موالى سواءة بن عامر ابن صعصعة . شأن أكثر العابثين والمجان الذين ظهروا فى هذا الوقت خاصة وقت تدهور السياسة العربية وتولى الملوك المترفين من بنى أمية مقاليد الحكم فى الإسلام . وفى بلد وإن كانت العروبة غالبة عليه غير أن العجمة كانت تبذر مفاسدها فيه وتؤسس نواديها فى كل مكان .

لقد كان حماد عجرد على الرغم مما اتهم به من الزندقة سليط اللسان بذىء الكلام لا يقف أمامه فى هذا الفن أحد . وقد عرف بشار بن برد وهو من المتهمين بالزندقة كذلك بأنه من أبذإ الناس لساناً وأنه من الهجائين المقذعين فى هجائهم . وكان مسرفاً فى الهجاء حتى عجل بنهاية نفسه . ومع هذا الهجاء لم يتمكن من التغلب على حماد ولا من إسكاته وقطع أنفاسه فكانت بينهما أهاج شديدة وكانت بينهما سباب وشتائم فقال حماد فى بشار أهاج فاحشة جاء فيها بمعان غريبة وإقذاع فاقت حد الوصف حتى كان بشار يضج منه(١) .

روى الصباح الكوفى قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لى : يا أبا على ، أما إنى قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه ، يعنى حماد عجرد . فقلت بماذا يا أبا معاذ ؟ فقال بقولى فيه :

يا ابن نهيا رأس على ثقيل واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيرى إلى عبادة ربيـ ـن فإنى بواحد مشغول

فقلت لن أدعه فى عماه . ثم قلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا . قال ماذا يقول ؟ قلت يقول :

فادع غيرى إلى عبادة ربيـ ـن فإنى عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ؛ ثم قال إنى لا أحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين . وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لى(٢) .

واشتد الهجاء بين الشاعرين فكان بشار يهجو حمادا وهو فى البصرة وكان حماد يرد عليه أو ينظم ما هو شر منه وهو فى الكوفة . فكان من جملة ما قاله حماد فى بشار .

والله ما الخنزير فى نتنه بربعه فى النتن أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده وجنسه أكرم من جنسه

ولما سمع بشار هذه الأبيات تظاهر بعدم الاكتراث وقال : ويلى على الزنديق ! لقد نفث بما فى صدره . فقيل له وكيف ذاك ؟ فأجاب ما أراد الزنديق إلا قول الله تعالى « لقد خلق الإنسان فى أحسن تقويم » فأخرج الجحود بها مخرج هجائى(٣) . وهو قول متهم فى متهم .

قال الرواة وهذا خبث من بشار وتغافل شديد . وهو خبث حقاً والتفات فطن ، فيه سرعة خاطر ، يتقطر غيظاً وحقداً من

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .
(٢) الأمالى للمرتضى ص ٩٣ .
(٣) الأمالى للشريف المرتضى ص ٩٣ .

الشاعر الأعمى على ذلك الخصم الذى يراه ولا يتمكن بشار رؤيته فيصفه :

قال الشريف المرتضى وأول من جمل نفى الإلحاد تأكيداً ـف به وأخرج ذلك مخرج البالغة ، مساور الوراق فى حماد حيث قال :

ـ مانى وديصانا وعصبتهم   جاءوا إليك لما قلناك زنديق
العبادة والتوحيد مذ خلقا   وذا التزندق نيرنج مخاريق(١)

ومساور الوراق صاحب هذه الأبيات شاعر رقيق ماكر من ـائين وله فى الهجاء مكانة . وكان ممن يخشى لسانه . وهو ـل فى أهل الرأى والقياس :

من الدين قبل اليوم فى سمة   حتى بلينا بأصحاب المقاييس
من السوق إذ قامت مكاسبهم
فاستعملوا الرأى بعـــد الجهد والبوس
ـغريب فامسوا الاعطاء لهم   وفى الموالى من شح علاميس(٢)

كان موجعاً فى هجائه . ويمتاز عن أقرانه الشعراء بسمة ثقافته ـعه على الكتب بحكم مهنته ولذلك كان يخشى المثقفون هجاءه ـوا يسترضونه بالدراهم ويشترون مدحه بالمال .

وكان ظريفاً صاحب مجلس ومعشر محدثاً يدل ما تبقى من على خفة روحه ، له قصيدة جميلة فى وصف الطعام يصف أنواع الأطعمة والأصناف الفاخرة من الأشربة ، من أوائلها :

ـبنعتى للملوك ولا ترى   فيما سممت كيت الأحيـــاء
ـــلوك لهم طعام طيب   يستأثرون به على الفقراء
ـنعت لذيذ عيشى كلـه   والعيش ليس لذيذه بسواء(٣)

ومن الهجاء الذى قاله بشار فى حماد عجرد وهو يمثل بخل ـو وبعده عن الكرم قوله :

ـحئتـه فى الحى أغلق بابه   فـــلم تلقه إلا وأنت كمين
لأبى يحيى متى تبلغ الملا   وفى كل معروف عليك يمين

وهنا لك أبيات أخرى قيل إنها فى هجاء حماد عجرد وقيل فى هجاء حماد بن الزبرقان وهو رجل من هذه الفصيلة . وقيل ـها فى هجاء حماد الراوية وهى :

(١) الأمالى للعريف للمرتضى ص ٩٣ .
(٢) العقد الفريد جـ ٦ ص ١٥٤ .
(٣) العقد الفريد جـ ٨ ص ٩ .

نعم الفتى لو كان يعرف ربه   ويقيم وقت صلاته حماد(١)
هـدلت مشافره الدنان فأنفه   مثل القـــدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه   فبياضه يوم الحساب سواد(٢)

وكانت لحماد عجرد بطانة وجماعة ترتاح إليه ويرتاح إليها وهى على شاكلته بالطبع ، مثل حريث بن عمر وكان حماد ينزل عليه وكان من المشهورين بالزندقة(٣) . ومثل مطيع بن إياس وهو علم بالزندقة لايحتاج إلى تعريف ، ومثل يحيى بن زياد . وكانوا يجتمعون ويتنادمون ويتنابزون بالألقاب . حدث على بن الجعد فقال : « قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء القوم حماد عجرد ومطيع بن إياس الكنانى ويحيى بن زياد فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثاً ومجانة(٤) » .

وكانت محجة القوم فى الكوفة بيت رجل يقال له « ابن رامين » قدم من الحجاز ولعله كان من أصل يهودى ، وكان صاحب قيان ونبيذ « فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده مثل يحى بن زياد الحارثى وشراعة بن الزندبوذ ومطيع ابن إياس وعبدالله بن العباس المفتون وعون العبادى الحيرى ومحمد بن الأشعث الزهرى المغنى وكان نازلا فى بنى أسد فى جيران إسماعيل بن عماد فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره إلى بنى عائذ فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما . وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء(٥) » .

وقد اشتهر أهل الحجاز بالميل إلى الغناء وباتقانهم فنونه ، ولذلك كان مجلس « ابن رامين » من مجالس طلاب الغناء المشهورة فى الكوفة . وكان عامة من يقصده من أصحاب الفن يحسنون الغناء وقول الشعر أو روايته على الأقل . وكان إسماعيل بن عماد مثلا صاحب شعر رقيق جميل وحس مرهف يقول الشعر فى « ابن رامين » وفى صاحبات ابن رامين وفى شعره نغم موسيق . وأما محمد بن الأشعث الزهرى وهو من رواد هذا المحل ومن

(١) فى بعض الروايات « يعرف قدره » .
(٢) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٣٠٢ .
(٣) الأغانى جـ ١١ ص ٢٩٠ .
(٤) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧ .
(٥) الأغانى جـ ١١ ص ٣٦٤ .

القيميين في بني أسد فكان مطرب النادي ، كان يغني تلك الأشعار ويأتي بألوان من الغناء تهز السامعين هزاً . وكان مطيع بن إياس وهو صديق حميم من أصدقاء حماد عجرد من هؤلاء الفنانين الوهوبين أيضاً وكان ينظم الشعر ويرويه . فكانت هذه الندوة ندوة الفنانين ، هذا ينظم وهذا يغني وهذا يروي وهذا ينكت ، ومن هذا الخليط يتكون ذلك الجو الأدبي الذي امتازت به مدينة الكوفة كما امتازت حانات باريس وأمهات المدن الأوربية التي اشتهرت بالنتاج الأدبي فتجد فيها الشذوذ والعبقرية والسذاجة والاتقان والمتناقضات التي لا تجتمع في نوادي العاديين من الناس .

أما بضاعة هذه الطبقة التي كانت تدر عليهم الأرباح فكانت الشعر وروايته ، وكانوا يحصلون على العطايا والهدايا إما عن طريق المديح وإما عن طريق الذم وهجاء الناس . وكانوا ينفقون أموالهم بغير حساب على القيان والشراب والمجالس والذهاب إلى البساتين لتمضية الوقت بين الماء والخضراء والوجوه الحسنة . وكان بستان شورين من البساتين التي كان يقصدها إسماعيل بن عمار وصحبه وفي صحبتهم قيان ابن رامين . فهنالك شراب وهنالك شواء وهنالك غناء . وهنالك الحياة التي كان يقضيها فرسان العصور الوسطى . أو جماعة « Burschenschaft » من طلاب الجامعات في ألمانيا التي كانوا يقضون أوقاتهم على هذا النحو أيام الفراغ .

جواد علي

الأدب الماجن
وأثره في نكبة فرنسا

للأستاذ يوسف البعيني

منذ خمسين عاماً على التقريب لمع في سماء الغرب كاتب من أوسع كتابه ثقافة ، وحكيم من أعمق حكمائه فكرة — هو الأديب الفرنسي الشهور رومان رولان الذي لا يجهله أحد من قراء الأدب العالمي الحديث .

ومما طالعته لهذا الكاتب الخلاب مقالة مطولة عالج فيها نكبة فرنسا في الحرب الأخيرة وانتهى في تحليله إلى نتيجة فلسفية رائعة هي أن الأمم الضعيفة الأخلاق الماجنة التفكير في أدبها وحياتها ، يتسرب إليها الخول والاستسلام تسرب الانحلال في الشجرة النخرة . فإذا لم تتلاف الأمم هذا الداء الوبيل قاضية على جراثيمه الفتاكة سارت إلى الانقراض على ما يذكر التاريخ .

لقد أصاب هذا المصلح الكبير في تحليله . فهذه أمم الأرض وهي بين منقرضة هجرتها الحياة وخاملة بوا كبها الفناء ، نرى أن الضعف الأخلاقي والأدب الماجن المستهتر والانغماس في أقذار الدعارة كانت السبب الأهم في انهيار صولتها ، وانطفاء أنوارها ، وانطواء أعلامها في ساح الجهاد .

* * *

ذكرني مقال رومان رولان بما قرأته من أعوام للبحاثة الأسباني «أسين بالاسيوس» عن تاريخ الشعب الفارسي وقد عزا سقوط الفرس ، بعد أن دوخوا الأمصار واستظهروا في مختلف مرافق الحياة ، إلى الضعف الأخلاقي الذي تمشى في آدابهم وضروب معيشتهم مثبتاً صحة كلامه بشواهد عديدة تشير كلها إلى أنواع الدعارة والفحشاء والانحطاط النفسي التي تمرغوا في أوحالها مستهترين في إرضاء حواسهم البهيمة بهدم كل قانون سام ونظام اجتماعي . ومن شواهده التي أودعها كتابه المذكور هذه الدعوة الوحشية وقد شاعت في عصرها شيوعاً عظيماً وهي للحكيم « شهار » . وفيها يقول :

« الويل كل الويل ، لمن يكفر بالخمرة واللذة المصحوبة بنوبة من الذهول . فإن جزاءه الجحيم إذ تكوى روحه الشريرة بالنار ، وتتقطع أطرافه وأوصاله بالسكاكين والكلاليب ، ثم يقذف في بئر من الدم طعاماً للأفاعي والغيلان . أما الذي يقبل على تقديس الخمرة واللذة فطوبى له إذ ينال رضى خالقه فيعيش سعيداً ، ويموت سعيداً » .

وهذه دعوة ثانية للشاعر « سنطور » الملقب بالعطار الفارسي وقد لاقت إقبالاً كبيراً عند خاصة الفرس وعامتهم :

« ملت إلى شفة الكأس الصينية المزخرفة
لأرتشف منها ما ينبه حواسي الجسدية
وبينا الشفة على الشفة ،
همست شفتها الرطيبة :
إشرب ما دمت حياً

فاللذة ستفقدها بعد حين وعندها تمسى الحياة بلا جمال »

وزاد العلامة الأسبانى على أدلته البليغة فى كتابه قوله : الشعب الفارسى لم يرض بالذل والهوان ، ولم يألف الانكماش توانى إلا بعد أن فقد أخلاقه فى أدبه واتجاهات حياته . هـذه يقة ناصعة لا تقبل التأويل والاعتراض ؛ لأن انحطاط الأخلاق دة لتضعضع الأفراد والجماعات وهو أشد خطراً على المجتمع من معف المادى نفسه . وما أصدق كلام الشاعر العربى :

ما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهوت الدولة الفرنسية فى الحرب الأخيرة أمام عدوها ريخى الألد ، فلم تغن عنها حصونها المنيعة ولم يجدها نفعاً نها الدروب . وغدت باريس — عاصمة النور — مسرحاً وها المنتصر الذى طالما حلم بانتهاك تلك المدينة العظيمة التى نمت تحت سمائها الصافية تماثيل الجبابرة ودور العلم والاختراع تاحف الفن والجمال ، وكلها تحتفظ بالذكريات الخالدة د الدهر .

وقد تبارى فريق من أمراء البراعة فى تشخيص هذه الفاجعة تليل أسبابها فقال أندريه موروا الكاتب المالى إن تفككها ده كان سببه قلة السلاح . وأكد جول رومان صاحب المؤلفات مة فى علم النفس أن تدهور أمته يعزى إلى خمول الساسة بغ أصحاب المقامات العليا . ونسب جاك ماريتان وشارل مورا واهما من أنصار الملكية إنكسار الامبراطورية إلى الاشتراكية برها من الآفات ... ما خلا الحكيم الكبير والمصلح جتماعى رومان رولان فقد خالف أقرانه وجلا بوضوح وجرأة كبة الشعب الفرنسى وأسبابها التى مهد لها الضعف الأخلاقى ى تمشى فى الأوضاع الاجتماعية والأدبية بعد الحرب الأولى يا على عزة النفوس ، فغدا الأديب لا ينشد فى أدبه سوى غراض الدنيئة ، وأمسى الرجل المسئول لا يفكر إلا فى ء شهواته الحقيرة !

فهل صحيح قول هذا الحكيم ؟

إن من تدبر الأدب الفرنسى الحديث الذى ظهر بعد أن عصفت زعازع الحرب الأولى على العالم مكتسحة من الحياة كل ما يجمل الحياة .. يقر بحقيقة ما يقوله هذا المفكر البصير الذى عالج قضايا المجتمع فى كتابه « جان كريستوف » بما لم يعالجه قبله أحد من كتاب الغرب . وحسب القارىء أن يقابل بين انتاج أعلام الماضى وأدباء اليوم حتى يدرك موطن الحق وإن يكن جارحاً ، ويجس موضع الداء وإن يكن مؤلماً .

وعندى أن هذا النوع من الأدب الحديث هو الذى جنى على الأمة الفرنسية إذ أفسد أخلاقها وأمات فيها تقديس الكرامة وتلك النزعة إلى الحرية التى اشتهرت بها على مدى العصور . وأنا لم أقرأ رواية من هذه الروايات الماجنة المستهترة التى ظهرت بعد الحرب الأولى إلا رأيت الحب الجنسى والميول الساقطة تكاد تكون كل شىء ، فلا يستوقف الطالع من شؤونها الطويلة العريضة سوى تصوير أمور شاذة معيبة يندى لها الجبين حياء وخجلا لأنها تحمل فى طواياها العفونة والفساد مع الأغراء الفاضح المتهتك ...

وأكثر من شط فى هذا الباب زعماء مذهب « اللاوعى » الذى يلاقى اليوم أكبر التأييد فى الشرق العربى وعلى الأخص فى لبنان . ولزعماء اللاوعى شبه جنون فى درس المسائل الجنسية فلا يرون فى العالم شيئاً خلافها يستحق الاهتمام ، وهكذا لا تجرى أقلامهم إلا بوصف الشهوات وتفاعيلها وبكل مثير للأهواء ودافع إلى الاستهانة بضوابط النفس والنظم الاجتماعية .

إليك مثالا من هذا الأدب وهو للشاعرة « جان فالكر » :

« لا أريد النوم !

إذ فى النوم غفلة القلب ، وغياب الحب ، وحياة تمر ضياعاً

قد أطوّق ذراعىّ وأنا نائمة ، ولكن فمى لا يقول للحبيب : اقترب

ومتى غرقت فى سبات عميق تسكن هوى فلا أعود أشعر باللوعة تضنى قلبى وتحطم جسدى . لذلك لا أريد النوم !

إنى أحب آلامى الشديدة التى تضغط على كل شىء فىّ

أحب ساعات اليأس يسود فيها الجنون فتخور عزيمتى ،

وتضيع أنفاسي ، وتتلاشى قواي

أحب الاستسلام إلى كل أنواع العذاب ، لأنني بعد مجيء الصباح ، أتلذذ بذكرى ما جرى لي تحت سدول الليل ، لذلك « لا أريد النوم » .

وإليك مثالا ثانيا وهو للشاعرة « ماري درمار » :

« كم فكرت عندما أكون بعيدة منك قائلة في نفسي : —

أي سر فيه يجذبني إليه ؟ إنه ليس فتى جيلا .

بل هو متسلط ، قاس بمظاهره العنيفة !

كم قسوت على بشراسة ، وكم آلمتني حاملا إليّ العذاب بحبك الوحشي .

نعم لقد ملأت حياتي بالعذاب . ولكي أتخلص منك ، أريد أن أبغضك .

ولكنني أشعر تحت تأثير قبلاتك الطائشة أنني ملكك إلى الأبد ... »

وهاك مثالا ثالثاً وهو للشاعر بول ڤرلين :

« وقفت أمام رسمه الجيل

وقد لوى عنقه العاجي إلى اليمين

فعاودتني منه ذكرى ليالينا المبطنة بالآهات والدموع

والغرام — وقد ذوى ريعه ، ما زال يئن في القلب قيثاره .

والنظرة الساحرة ألقيتها البارحة على جدث يضم رفاته الذي أمسى طعاماً للديدان .

وآهاً — كيف تعرى غصنه

حب تنوح في الدجى أشباحه

أهكذا يتلف الموت أعيادنا

ويغيب في الثرى أحلامنا

فيمسي بعد زهو المنى شبابنا ترابا

ويكفن النسيان بكفه العاتية ،

ذكريانا الصباح العذاب ...

نظم ڤرلين هذه القصيدة بعد وفاة (صديقه) أرتور رامبو صاحب عدة مؤلفات شعرية وبينها ديوان « الزورق السكران » وقد تمكنت بينهما علاقات مريبة شاع خبرها في أوربا ثم انتهت في عاصمة بلجيكا بعد حادثة مشؤومة لا تزال وقائعها محفوظة على اضبارة في المكتبة الملكية بتلك العاصمة . وأنا ماجئت على ذكر هذين الأديبين إلا لأقول إن أتباعهما منتشرون في الغرب انتشار الدمامل الخبيثة . ففي أسبانيا تزعمهم الشاعر غرسيا لوركا الذي ذهب ضحية فرنكو في الثورة الأسبانية الأخيرة وقد ترك آثاراً يندى لها جبين الشعر . وفي البورتغال يعد أنطونيو بوتو في طليعتهم . أما في البرازيل فيعرفون باسم «الاعتزاليين» وهم أكثر من هموم إبليس ... لكن المحيط البرازيلي الراقي يواجههم بالنقد القاسي والتقريع الصارم .

وهذا المذهب الباطل بما فيه من تفكك أخلاق مهيض لأجنحة الشعر يقوم على التغزل بالرجل دون المرأة . والتغزل بالغلمان عرفه الفرس والعرب في عصر الانحطاط .

على أن ما يحيط بهذا المذهب المغرى الشوق من صور ورؤى تموج في ظلال وألوان زاهية حيناً وقاتمة أحياناً وقع من نفوس أنصاره موقع التأييد والاستحسان فحسبوا غموضه إلهاماً علوياً وإباحيته فنا غريباً . وفي المحاضرة التي ألقاها الأديب الكبير بول ڤالري عن ڤرلين برهان أكيد على شذوذهم وقد جاء فيها ما يأتي :

« إن السلوك الشاذ ، والصراع مع الحياة القاسية ، وسكنى السجون والمستشفيات ، والعربدة المتصلة ، ومخالطة الأدنياء ، وحتى الإجرام نفسه — كل ذلك مما يلتئم والإنتاج الشعري الرفيع . والحق أن الشاعر ليس رجلا اجتماعياً بالمعنى المعروف لهذا الإصطلاح ، فما دام الشاعر شاعراً فلن يستطيع أن ينتظم في أية هيئة من الهيئات التي تنشد مصلحتها من طريق الحرص على الأخلاق والقانون ، فالقوانين الدنية تلفظ أنفاسها على عتبة شعره » .

ويضيق بي المجال إذا جئت أعرض لكل ما هنالك من شؤون وعبر . ولكنني أكتفي بإيراد مثال واحد وهو للشاعر بول جيرالدي صاحب ديوان « أنت وأنا » الذي قال عنه الفنان والفيلسوف الأسباني المشهور ميكال أونامونو أنه من أحط ما نظمه الشعراء . وها كه :

« وكنا اثنين ، في الغاب مجتمعين ، تحجبنا أشجاره من

عين الرقباء ، فإذا ساقية تسير مترنحة ، وبلبل على الأغصان يغنى . كلاهما من صدى قبلاتنا ثملان ... مترنحان .

قلت لرفيق — وقد غمرته نشوة الحب — أمن قوامك لأهيف ، ومن شفتيك الورديتين ، تمتد رعشة سحرية فى القلب فى الأشجار ، فى المياه ، والأطيار ، وفى كيانى المذب يوخز غرام !

غرام طام كالسيل ، مستعر كالنار ؟

وعلى هذا النسق المتخاذل يكتب الأدباء المعاصرون كتبهم رواياتهم ويظنون أنهم يخدمون أمتهم المسكينة التى هوت إلى حضيض الهوان فكانوا هم الجانين عليها كما يقول رومان رولان كبير مفكريها فى هــذا العصر . وأنا حتى لا أتهم بالتحامل الخروج على الأمة التى أحببتها ووقفت على أدبها وتاريخها كأبنائها لحقيقيين أورد فيما يلى رأى إسـطفان زويك الناقد العبقرى لشهور فى أدباء فرنسا المعاصرين وهو : « إن أدباء فرنسا الذين ـوا بعد الحرب الكبرى متأثرين بمذهب عار من الخلق السامى لكرم والتصور الذى لا حدود له سيجرون المثل العليا إلى لهاوية . وإنى آسف الأسف كله لمصير هذا الشعب الذى سطر ى التاريخ البشرى أروع الصفحات وأمجدها » .

وأورد أيضاً رأى الرئيس ما زاريك الذى تمتع فى حياته بزعامة لأدب والسياسة وقد أدلى به إلى الوزير لويس بارتو عندما زار تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٣٣ وهو : « إن أبطال قصصكم الجديدة عامة تحركهم الشهوات الوضيعة والحب الجنسى الشره . ويمكنكم ن تتأكدوا أننا قد مللنا ، بل قد اجتوينا هذا الضرب المأفون من روايات الباطلة السقيمة التى لا تطالعنا فيها سوى امرأة سليطة حبها اثنان أو ثلاثة عدا زوجها « المسكين » الذى تخدعه بشتى لحيل . وهكذا فى دائرة بغير انتهاء . فهل هذا هو الفن الكتابى لرائع الذى اشتهرتم به على مدى العصور؟ ذلك لا يمكن أن يكون ل هو زيغ وكبوة فى الأدباء المعاصرين ، فإذا لم تقضوا على هذا لداء الوبيل دفعتم غالياً ثمن تهاونكم فى المستقبل .

إن تحت قباب قوس النصر ووراء ستائر البانتيون عيوناً تحدق . فحذار من تلك النظرات المخيفة ، حذار منها !! »

***

ولقد صدق الرئيس مازاريك رحمه الله فى نبوءته وأدى الشعب الفرنسى ثمناً فاحشاً لقاء رضاه عن ذلك الأدب الماجن المخدر . فهل فى نكبة فرنسا درس لنا أفراداً وجماعات ؟

عندما حمل المصلح الاجتماعى الكبير المرحوم أمين الريحانى على الأدب الماجن السخيف لم يكن يقصد فى حملته الصادقة إلا الأدب الماجن المستهتر الذى نشره فى لبنان بعض الكتاب والشعراء من أنصار مذهب « اللاوعى » . وقد أحسن الريحانى الفيلسوف أيامئذ إلى أمته الصغيرة التى لا تملك من مفاخر الحياة سوى خلقها العالى المتين ، والأمة التى تخسر خلقها تخسر كل شيء .

إن فى نكبة فرنسا درساً بليغاً لكل من ضعف خلقه وانحط تفكيره . ولو أن هذه الأمة اختطت لنفسها طريقاً قويما غير الذى سلكته فى العقد الأخير مستوحية تاريخها العظيم الحافل بالأمجاد والزاخر بشواهد العبقرية لما انحدرت ذلك الانحدار الأليم الذى يشبه الأحلام !!

فهل يعتبر أنصار أدب الغموض والإبهام ؟

يوسف البعينى

من العصبة الأندلسية

شخصيات عباسية :

جحظة المغنى الشـاعر

٢٢٤ – ٣٢٤ ﻫ

للشيخ محمد رجب البيومي

كان للشعر والغناء فى الدولة العباسية سوق رائجة ، فما ينظم شاعر قصيدة ، أو يبدع مغن صوتاً ، حتى تتطلع إليه الأنظار ويتصل ذكره بالرؤساء والأعيان فتخلع عليه الهبات الوافرة وتهدى إليه المنح الجزيلة ، وقد يطير ذكره إلى الخليفة ، فيقربه من ساحته ، ويسمر معه فى أطيب أوقاته ، حتى يكون نديمه المحظوظ ، وصفيه المختار .

لذلك أكب الناشئون على الأدب ، يقيدون شوارده ، ويقتنصون فرائده ، فحفلت بهم المجالس ، وأورثوا الثقافة العربية ثروة خلدت العصر العباسى فى سجل التاريخ حتى لا يكاد يوجد نظيره فى شتى عهـود العربية وقد توالت عليها السنون وامتدت بها الأحقاب .

ولقد كان أبو الحسن أحمد بن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى أحد هؤلاء الذين أوتوا نصيباً وافراً من المعرفة ، فقد سلخ من عمره وقتاً مديداً فى البحث والدراسة حتى استطاع أن يكون عالماً متمدد الثقافة ، ومؤلفاً غزير المادة ، وشاعراً خفيف الظل ثم هو بعد ذلك مُغن بارع تحن إليه المسامع وتتعلق به القلوب .

انحدر أبو الحسن — وقد اشتهر بجحظة — من سلالة البرامكة فحرص جهده على أن يكون بعيداً عن المزالق السياسية كيلا تحوم حوله الشبهة فيؤخذ بجريرة آبائه وأجداده ، لا سيما وقد وجد فى عصر أهدرت فيه دماء الساسة ، وتناثرت أشلاء القادة من وزراء ورؤساء ، بل لقد انتقل الخطر إلى أمراء المؤمنين فكان الخليفة يهوى فى ليلة واحدة من القصر إلى القبر ، وحسبك أن تعلم أن جحظة قد شهد فى مدى عمره عشرة خلفاء فارقوا تيجانهم ما بين قتيل وجريح

ولم يستطع أبو الحسن أن يستفيد من أدبه وغنائه كما استفاد غيره لأنه كان ذا نمط خاص فى حياته فلم يسر فى ركاب أمير ، ولم يجامل عظيما ، والرؤساء فى كل زمان ومكان لا يجزلون حباءهم الوافر إلا لمن يحبر فيهم المدائح الطويلة ، لاهجاً بالثناء عليهم فى غدوه ورواحه ، ولهذا كان الشاعر يشكو من دهره ، ويعجب من حرمانه ، أضف إلى ذلك ما وقر فى نفسه من أنه سليل البرامكة ذوى الأموال المصادرة ، والتراث السليب ، وهو بعد ذلك فقير معدم تسأله عن حاله فيجيب .

لست الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذى دينه إسعاف نائله ... والفقر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذى حب أهل البيت أفقره ... فالعدل مستعبر والجور مبتسم

وكأن السياسة قد حرمت عليه أن يتمدح بآبائه وأهله فكان يعانى من ذلك هما ناصباً وشجناً مبرّحاً ، وقد ينفجر صبره فيسفر عن مراده فى وضوح ، ويروح عن نفسه فيقول :

أنا ابن أناس موّل الناس جودهم ... فلم يخل من أحسانهم بطن دفتر

ولقد كان الغناء يدر عليه بعض الخير والنعمة ولكنه مسرف متلاف لا يبقى على شىء فهو فى حاجة ماسة إلى العطاء المتواصل ، والغريب أنه ابتلى بمن يغنّيه فيكتب إليه رقاعاً عديدة دون أن يأذن بصرف واحدة منها وقد يكون جحظة فى ضيق من عيشه فيعلن إليه تبرمه إذ يقول :

إذا كانت صلاتكمو رقاعاً ... تُخطّط بالأنامل والأكف
ولم تكن الرقاع تجر نفعاً ... فها خطى خذوه بألف ألف

وشر من ذلك أن يغنى جماعة فيقولون له أحسنت ثم لا يعطونه قليلا أو كثيراً وهو ينتظر أن يحظى ببعض ما يتمتع به زملاؤه المغنون من منح وهبات فلا يسعه إلاّ أن يعبر عن هذه الحقيقة المريرة فيهتف .

لى صديق مغرى بقربى وشدوى ... وله عند ذاك وجه صفيق
قوله إن شدوت أحسنت زدنى ... وبأحسنت لا يباع الدقيق

ولقد دفعه ضيق يده إلى التهافت على موائد الخلان والأصدقاء فكان لا يترك صاحباً إلا لجمه فى مأكله ومشربه ، فإذا صادف منه بشراً وابتساماً سكت عنه ، وإذا لمح فى وجهه عبوساً سلقه بهجائه المقذع ، وأخذ يشهر به فى كل مكان ، راوياً عن بُخله ما يُعتع من النوادر المضحكة كأن يقول « سلمت على بعض الرؤساء وكان مُبخلا فلما أردت الانصراف قال لى يا أبا الحسن ماذا تقول فى أكل القطائف ؟ فقلت ما آبى ذلك ، فأحضر لى

جاماً فيه قطائف فأرغلت فيها وصادفت منى سغبة ، وهو ينظر إلىّ شزراً فقال يا أبا الحسن إن القطائف إن كانت بجوزأتخمتك ، أو كانت بلوز أبشمتك ، فتعجبت من شأنه ، وتلت فى أمره .

دعانى صديق لى لأكل القطائف   فأممنت فيها آمنا غير خائف

فقال وقد أوجعت بالأكل بطنه   رويدك مهلا فهى إحدى المتالف

فقلت له ما إن سمعنا بهالك   ينادى عليه يا قتيل القطائف

لذلك تجد أكثر معارفه قد أقفلوا أبوابهم فى وجهه حذراً من لسانه كما نبهوا على الحجاب أن يصرفوه بمجرد رؤيته ، وجحظة يعلم جيداً ما يفطنون له ، فيشنع عليهم فى تهكم يصل به إلى الوقاحة والتبجح فيقول :

ولى صاحب زرته للسلام   فقابلنى بالحجاب الصراح

وقالوا تغيب عن داره   لخوف غريم ملح وقاح

ولو كان عن داره غائباً   لأدخلنى أهله للنكاح

وكان إذا امتدت الموائد لا يرحم معدته بل يأخذ على نفسه عهداً أن يبتلع ما تقع عينه عليه ، وقد بلغ من بعض البخلاء أن ضربه فأوجعه لما صادف من نهمه الزائد ، فقد دخل على هرون ابن عريب فقدم إليه « مضيرة » فأوغل فيها إيغالا جعل ابن عريب يقول له : جعلتُ فداك أنت عليل ، وبدنك نحيل ، والعصب ثقيل . فأجابه النهم فى تهكم ! والعظيم الجليل ، المفضل النبيل ، لا أترك منها الكثير ولا القليل . فغضب هرون وضربه عشرين مقرعة ، ولم يترك جحظة حادثته تمر بل سجلها فى شعره فقال :

ولى صاحب لا قدس الله روحه   وكان من الخيرات غير قريب

أكلت طعاماً عنده فى مضيرة   فيا لك من يوم علىّ عصيب

ومهما يكن من شىء فى هذه الأخبار ما يدل على كلفه بالطعام ولا ريب فقد كان فيه يستولى على جانب كبير من إنتاجه وتأليفه ، ولم يقتصر على ما ترنم به من الشعر فى هذا الباب بل ألف كتباً خاصة ذات فصول وعناوين ، والذى يقرأ هجاءه للبخلاء يعتقد أنه كان على شىء من الكرم فى بيته ، والحقيقة أن أبا الحسن ممن اشتهروا بالكزازة والشح فقد طار له فى هذا الباب صيت بعيد ، قال أبو على الأعرابى : كنت فى بيت جحظة فدخل علينا رجل من البادية ونحن نأكل فدعوناه وكان طارى تمر ، فأتى على القصعة ونحن نرمقهما ونضحك ، فلما فرغ من مضغه قال له جحظة أتلعب معى النرد ؟ قال نعم فوضعاه بينهما واللعبا فانهزم جحظة هزيمة لم تمهد له ، فأخرج رأسه من الخيمة ورفع يده إلى السماء قائلاً : لعمرى إنى لأستحق هذا لأنى أشبع من أجاعه الله .

هذا وقد أوقعه شرهه فى مضحكات غريبة فقد كان يتحين الخلوة فى رمضان ليشبع جوفه ، وأحياناً يذهب إلى المرحاض وفى كمه كسرات من الخبز يلوكها فى غفلة من العيون ، قال الحسن البغدادى : كان جحظة عند أبى يوماً فى شهر رمضان فأجلسته فلما انتصف النهار سرق رغيفاً ودخل المستراح ، واتفق أن دخل أبى فرآه فاستعظم ذلك وقال ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال أفتّ لبنات وردان ما تأكل . وبنت وردان دويبة كالخنفساء توجد كثيراً بالمستراح .

وغير كثير على جحظة أن يفعل ذلك فقد كان من المستهترين بالدين إلى أبعد حد وأقصاه ، فهو يشرب الخمر ، ويأتى المحرمات ويتعرض للنساء مع أن الله قد منحه من الدمامة قسطاً لا يحتمل معه تماجن وخلاعة ، وقد سماه ابن المعتز بجحظة لنتوء قبيح فى عينيه قد شوه سحنته حتى ضُرب بها المثل

وكان فوق ذلك قذر الثياب ، رث الأردان ، مع أنه كان يغشى المحافل العامة ويتصدر منتديات السمر ، وكذلك كان من معارفه البحترى وأبو الفرج ، ولست أفهم لذلك علة غير أن هؤلاء وأمثالهم ربما أرادوا أن يحاربوا ما شاع ببغداد من الترف الفاحش فى الزىّ والملبس ، فدفعتهم المغالاة إلى ما صاروا عليه من قذارة وحطة ، وإلا فلو كان جحظة قد اضطر إلى ذلك لفقره المدقع فلماذا أصر الوليد وأبو الفرج على ما كانا عليه من رثاثة وامتهان

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

هل نملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

(تتمة)

وأقول رداً على هذا الدفع أنه بغض النظر عما إذا كان التعدد فى ذاته من حيث المبدأ خصوصية للنبى أو أن الزيادة على الأربع فيه هى وحدها الخصوصية فإن ما سبق أن سقته من الإشارة إلى الأحاديث المذكورة إنما كان للاستدلال على أن المولى جل شأنه لم يكلف إلا بالعدل المستطاع بين الزوجات المتعددات ، وقد رددت فيما تقدم على ماذكره معاليه من أن ذلك كان حكماً وقتياً . أما قوله إن النبى قد أعفى من تكليف العدل فجوابه أنه ثابت بالآثار المستفيضة أنه كان عليه السلام يحافظ على القسم بين زوجاته بالرغم من رفع التكليف عنه بذلك . وقد بين عليه السلام القسم على النحو الوارد فى تلك الأحاديث فوجب على المسلمين الإقتداء به فى ذلك . ويؤيد هذا الآثار الواردة عن بعض الصحابة — ومنهم عمر رضى الله عنه وهو من علم تشدده فى مراعاة أحكام الدين — بمعنى القسم على النحو الوارد فى السنة مما يدل على أنهم كانوا يرون أنهم غير مكلفين إلا بما كلف نفسه به النبى من العدل المستطاع .

هذا وقد ختم معالى الباشا رده على الاعتراض المذكور ، بمعارضته بأنه إن فرض أن آية (وأن خفتم إلا تقسطوا فى اليتامى فأنكحوا) مسوقة للتصريح بتعديد النساء إلى أربع فقط فإنها تقرر أيضاً وجوب الاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل فلماذا لم يأمر النبى الناس بمفارقة ما زاد على واحدة لأن خوف عدم العدل يملأ كل نفس حتى نفس النبى ، واقتصر على أمرهم بما هو مقتضى الشق الأول من النص أى بعدم الزيادة على الأربع وأردف هذه المعارضة بقوله « أن هذا يجعلنا نرتاب أشد الارتياب فى صدق تلك الأحاديث التى يحتجون بها »

والحقيقة أن ليس فيما أورده أية مدعاة للارتياب لأنه إن أراد بالعدل هنا العدل المستطاع فليس مرد القول بالخوف من عدمه إلى النبى بالنظر إلى غيره ، وإنما مرده إلى الشخص نفسه وما يشعر به من قدرته أو عدمها على أجراء هذا العدل ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص وأحوال كل وظروفه ، فلم يكن للنبى إذن ما يأمر به فيها زيادة على ما ورد فى الكتابة وقد كان عليه السلام يقول فى مثل هذه الأمور « سل قلبك ولو أفتوك » . أما أن أراد به العدل المطلق (وهو ما يظهر أنه مراده بدليل قوله أن الخوف من عدمه كان يملأ قلب النبى نفسه) فإن معارضته مدفوعة حينئذ بأنها مصادرة على المطلوب على الوجه الذى بينته فيما تقدم ، وفيها — عدا ذلك — حجة عليه لاله ، وهى أن عدم ورود أمر من النبى للناس بمفارقة ما زاد على الواحدة عند نزول الآية دليل على أن العدل المشروط فيها لجواز التعدد ليس هو العدل المطلق والا لأمر بمفارقة ما زاد على الواحدة للقطع بخوف الجميع عدم هذا العدل .

١٢ — الاعتراض الرابع

إن الأمة قاطبة قد أجمت قولاً وعملاً منذ عصر النبوة حتى اليوم على حل تعدد الزوجات فى الإسلام ؛ فهل كانوا جميعاً بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم غير عالمين ولا فاهمين لحقيقة ما ورد به الشرع من تحريم ذلك ؟ أم كانوا محلين لما حرّم الله ؟

وقد حاول معالى الباشا دفع هذا الاعتراض بأن الإجماع الذى يسرى على المسلم ديانة له صور ثلاث : الأولى أن يقوم فى أساسه على نصوص قرآنية مسلم بصحة قيامه عليها مباشرة أو بطريق القياس الصحيح . والثانية أن يقوم على سنة نبوية يطمئن الضمير على صحتها وإلى صحة قيامه عليها مباشرة أو بالقياس الصحيح كذلك . والثالثة أن يكون إقراراً من الناس كافة لعادة من المباحات لم يأمر بها كتاب ولا سنة ولم يمنع منها كتاب ولا سنة لا مباشرة ولا بالقياس . وهذه الصورة الثالثة هى التى يصح أن يطلق عليها اصطلاح (الإجماع) أما الصورتان الأولى والثانيـة فإن الدليل الشرعى فيهما ليس هو إجماع الناس إنما هو نص الكتاب أو السنة أو القياس الصحيح على نص أيهما . والمسألة التى نحن بصددها غير مقول أن فيها إجماعاً من قبيل الاصطلاح المذكور بالصورة الثالثة ؛ بل يقولون أن الإجماع فيها قائم على العمل مباشرة بقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقوله من بعد (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ولا شك أن الحكم ما دام مرده إلى النص فإن لكل مسلم وإن

نصاح قضاء للاجماع المرتب عليه ؛ أن يعترض ويبين ما يعتقده في الأساس من خطأ التأويل .

وردّي على هــذا الدفع أن المتفق عليه بين القائلين بحجية الإجماع — وهم جمهور مجتهدي الأمة المعتد بآرائهم في ذلك تأيدها بما جرى عليه العمل فعلاً في عهد الصحابة من الاحتجاج بالإجماع والتقيد بما أقره من أحكام — أنه لابد أن يكون له سند من النص أو القياس بمعناه الواسع الشامل للاستنباط من عمومات الشريعة .

وعلى ذلك فالصورتان الأولى والثانية من الصور الثلاث التي ذكرها الباشا هي من صور الإجماع لامحالة ؛ وثمرة وجود الإجماع في هاتين الصورتين — إلى جانب سنده من النص أو القياس عليه — أن هذا السند قد يكون ظني الثبوت (كما هو الحال بالنسبة لأحاديث الآحاد ومعظم السنن منها كما هو معروف) وقد يكون ظني الدلالة (كما هو الشأن في النصوص المحتملة بظاهرها لأكثر من معنى واحد ، وكما هو الشأن في القياس) وقد يكون ظني الثبوت والدلالة معاً (كما هو الشأن في بعض أحاديث الآحاد التي تحتمل بظاهرها أكثر من معنى واحد ، أو التي يظهر بينها وبين نصوص أخرى من الكتاب أو السنة وجه تعارض) والإجماع حجة قاطعة ؛ فإذا ما أقر في عصر من العصور حكماً مستنبطاً من النص نفسه أو مقيساً عليه أصبح هذا الحكم مما يحرم مخالفته ولا يكون النص بعد ذلك محل اجتهاد ، فلا يحل بعد ذلك لمسلم مخالفته بدعوى أن سند الإجماع محل اجتهاد ، وإنما يحل في هذه الحالة قبل انعقاد الإجماع .

هذه هي ثمرة وجود الإجماع مع النص ؛ فهو — إذا سلم معنا الباشا بحجيته وانعقاده في هذا الموضوع — مانع لمعاليه من التأول فيما تأول فيه من النصوص بما يخالف ذلك الإجماع ، ومانع للمسلمين كافة من الأخذ برأيه في ذلك إن هو أصر عليه بعد هذا البيان .

هذا ولا يفوتني أن أنبه هنا إلى ما هو الحق في نقطة أثارها الباشا في بحثه ومن شأنها أن توجب بعض اللبس على الناس في صحة انعقاد الإجماع على هذه المسألة ، فقد قرر أن بعض المتطرفين قالوا بجواز التعدد إلى تسع وبعضهم إلى ثماني عشرة مستندين إلى تفسيرهم لعبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما يوافق ذلك .

والحق أنه لم يُنقل عن أحد من الصحابة مثل هذا القول بل كل ما نقل عنهم يفيد العكس أي أن الحكم الشرعي جواز التعدد إلى الأربع فحسب . فإجماعهم إذن لم يخرقه أحد ، وقد قررت ذلك صراحة معظم كتب الحديث والتفسير فليرجع إليها من يشاء كما نقل هذا الإجماع عدة من الثقات في هذا الباب . أما مخالفة ذلك النفر ممن سلم الباشا بتطرفهم وسفه رأيهم ؛ فهي — إن ثبتت — فلا يعتد بها في خرق الإجماع المذكور لأنهم وجدوا بعد انعقاد الإجماع على هذه المسألة واستقراره بانتهاء العصر الذي انعقد فيه ؛ وذلك لأن هذا الرأي منسوب إلى بعض الظاهرية وهؤلاء لم يوجدوا إلا بعد عصر الصحابة . على أن شيوخ هذا المذهب أنكروا صدور هذا الرأي عن أحد ممن ينتمون إليهم ؛ فثبوت قولهم به إذن محل نظر . وحتى على التسليم جدلاً بأن خلافهم ثابت وأنه قادح في هذا الإجماع ؛ فإن قدحه لا يتناول منه إلا إفادة الآية لتقييد التعدد بالأربع ؛ فهو يمس ناحية الحظر في التعدد لا ناحية الإباحة التي تظل بعد ذلك قدراً متفقاً على انعقاد الإجماع على دلالة الآية عليه ، وهو ما يخالف رأي الباشا القائم على الحظر وعلى أن عبارة (مثنى وثلاث ورُباع) مفيدة بظاهرها الإباحة المطلقة للتعدد الجزاف وإنها — مع ذلك — ليس مقصوداً بها حل التعدد مطلقاً ولا تفيد هذا الحكم بحقيقتها ، فرأيه إذن مخالف للقدر المتفق على انعقاد الإجماع عليه قطعاً في جميع العصور ...

ولمعالي الباشا أيضاً في دفع هــذا الاعتراض — فيما يتصل بالإجماع العملي قصة عجيبة مسلسلة الحلقات قوامها أن فترة الإسلام الأولى منذ الهجرة حتى آخر الدولة الأموية كانت عهداً مليئاً بحروب المسلمين وفتوحاتهم «والجنود في كل أمة يدللون ويتجاوز لهم عن كثير من الآثام في مقابل أنهم وهبوا حياتهم ... » والشباب من جند المسلمين كانت تتنبه فيهم الغريزة الجنسية في فترات الفراغ والراحة بين المواقع الحربية ولا سبيل لهم إلى إجابة داعيها بغير التزوج لأن الزنا محرم « لكنهم كانوا » إذا أراد الواحد منهم بعد إحدى الوقائع أن يتزوج فوق من تزوجها بعد واقعة سابقة — كانوا يجدون قوله تعالى (فإن خفتم ألا تعدلوا

فواحده) مانماً من التعديد ··· ولكنهم من جهة أخرى يعرفون أن آباءهم وأجدادهم المسلمين متزوجون قبل وفاة النبي (أو كانوا فى حياته وقبل وفاتهم هم متزوجين) بمدة من النساء ليس عليهم (أو ما كان عليهم) إلا العدل بينهن بقدر الاستطاعة عملا بقوله تعالى فلا تميلوا — الآية ، فيتأففون لسلبهم ميزة التعدد لمجرد تأخرهم فى الوجود عمن أبقيت لهم هذه الميزة وهؤلاء كانوا من القاعدين من القتال لتقدم السن بهم ، لذلك كان الشباب المجاهدون يرون أنفسهم أجدر بهذه الميزة ممن خصوا بها مما دفعهم « إلى التحلل من حكم الآية ، وإلى تعديد النساء واغتفر أولو الحل والعقد للجنود هذا التجاوز ··· وبديهى أن السياسة الشرعية ما كانت تأبى هذا الاغتفار لأن النفع الذى كان يحدث للدين الاسلامى من استرضاء الجندى وتحصينه من الزنا أكثر بكثير من إثم التعديد »

« استمر الجنود إذن على التعديد كما إخال ، ولكنهم فى داخل ضمائرهم لم ينسوا أنهم لا يستطيعون العدل وأن واجبهم ديانة الاقتصار على واحدة ، فما العمل ؟ لم يعدموا من يهون عليهم هذا الوضع بالحيل الشرعية » فتلمسها لهم المتلمسون فى لفظ (رباع) فى الآية وحللوا لهم الأربع وألزموهم الوقوف عندها وكان لهم فى السبيات الجميلات اللاتى توزعوهن ملكا لهم ما يغنى عن التزوج زيادة عن الأربع بالمهيرات الثقيلات النفقة من الحرائر « ولولا هذه الظروف المسهلة لما تنازل الجنود عن التعديد ولاستحلوه إلى ما فوق الأربع ولوجدوا من يعينهم على هذا ··· »

« ولقد يخيل إلى (هذا نص كلام معاليه) » أن أولئك الجنود الذين استنوا تلك السنة قدشايعهم عليها أهلوهم « المتخلفون عن القتال ممن كان ساريا عليهم حكم (فلا تميلوا) والذين كانوا — مع ذلك — بحاجة إلى « الاستزادة من الأزواج فوق الواحدة الباقية ممن كن عندهم وقت نزول هذه العبارة ، فكان من مصلحة الجميع المبادرة إلى تحبيذ سنة الجنود وإلى تعميمها والسياسة الشرعية أيضاً كانت ترى المصلحة فى هذه المناصرة ، وذلك لأن الحرب تهلك الجنود وتقلل عدد المواطنين ، ومن الواجب التغاضى عن العمل بالواحدة فى حق المتخلفين (أى عن القتال) وإباحة تعديد زوجاتهم بزيادة النسل ··· »

« استمرت إذن عادة الأربع ··· ودامت بدوام الحروب والثورات فى القرنين الأول والثانى » فلما جاء عصر التدوين فى آخر الثانى وأوائل الثالث كانت قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة المحببة إلى المسلمين واللائمة لغرائزهم الموروثة ··· فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها وتدوين الواقع من متابعة الناس لها وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى كما تساهل فيه المحاربون الأولون .. وما كان فى استطاعتهم غير هذا خصوصاً وليست المسألة من العقائد التى تدعو إلى التحرج ونبذ المسايرات »

ذلك تلخيص القصة التى أوردها معاليه لما قصد دفعه من هذا الاعتراض وقد أدعمنا هذا التلخيص بنصوص كلامه نفسها كيلا يتسرب إلى القراء أدنى شك فى صحة نقلنا ، وندع لحضراتهم بعد ذلك الحكم على قيمة هذا الاتهام الخطير الذى تناول بالتأثيم — على الأقل — جميع الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين وفقهاء المذاهب فى جميع الأزمنة والعصور ، إن لم يكن بارتكاب المحرم فبإقراره بالتغاضى والسكوت عنه طوراً وابتكار الحيل التأويلية للنصوص طوراً آخر ، ثم بنشر ذلك على الناس أخيراً فى عهد التدوين على أنه حكم الله فى هذا الموضوع متغافلين — طبعاً — عن أنهم مسؤولون أمام الله عما أحدثوه من هذا الحدث الخطير وهذه « الجريمة المستمرة » فى الإسلام بالخرق لأحكامه وتقريرهم الحرام للناس على أنه حكم الله فيما أحل ليتبعوه فاتبعوه فعلا — فى رأى معالى الباشا حتى يومنا هذا ، ومتغافلين عن القاعدة التى قرروها استنباطاً من عمومات الشريعة وهى أن « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وعما توعد به الله من يحكم بالهوى وبغير ما أنزله

وإنما قلت فيما تقدم أن رأى الباشا يتناول بالتأثيم جميع من ذكرت « على الأقل » لأن الوقائع الحربية لم تبدأ منذ عهد الصحابة بل بدأت فى عهد النبى عليه السلام كما هو معروف ···

وأخيراً أدع لحضرات القراء الحكم على رأى هذا سناده فى تأويل القرآن بما يخالف المتفق عليه فى تفسيره ، ورد السنن المؤيدة لهذا التفسير ، وتسفيه الإجماع المقرر لكل ذلك قولا وعملا . والله أحكم الحاكمين .

ابراهيم زكي الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الاسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

زواج تولســـتوى (*)

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

كان الطبيب بيرز يعيش وأسرته عيشة راضية فى موسكو منذ أن تزوج سنة ١٧٤٢ وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره بالآنسة ليوبوف إسلافين ، وكانت فتاة فى السادسة عشرة ...

كان هذا الطبيب الألمانى الأصل موفور الرزق بما كان يكسب من حرفته ومن وظيفته فى بلاد القيصر ؛ وإن لم يك من ذوى الثراء الواسع ؛ وكان له ولأسرته مكانة اجتماعية مردها إلى منصبه الرسمى الذى حصل فيه على لقب النبل جزاءاً على خدماته فى القصر الإمبراطورى ...

وقد أنجبت الزوجة الفتية لبعلها حتى سنة ١٨٦٢ ثلاث عشرة عاش منهم ثمانية ، ومن هؤلاء ثلاث بنات كانت كبراهن واسمها إلزابث فى التاسعة عشرة ، ويليها سوفيا وهى دونها بسنة ، ثم تاتيانا وهى دون سوفيا بسنتين ...

ولم تكن زوجة الطبيب بيرز إلا تلك البنت التى أحبها تولستوى وهو طفل ، والتى أدت به الغيرة ، ذات يوم ، إلى أن يدفعها من شرفة فأصابها بالعرج زمناً غير قصير ؛ لم تكن إلا إسلنيف الصغيرة التى عاشت فى كنف أبيه ، وقد ولدتها أمها لرجل يدعى الاسكندر إسلنيف عاشت معه بعد أن هجرت زوجها ولم تستطع أن تحصل منه على الطلاق .

وقد تعلم البنات فى البيت على أيدى معلمين ومعلمات من ألمان وفرنسيين ، وكان أبوهن يعدهن ليكن قوتهن بعملهن ، ولذلك كن يتعلمن ليكن معلمات ...

وقرأ البنات ، وبخاصة سوفيا ، كثيراً من الكتب . وكان لقصة ترجنيف الآباء والأبناء أثر عظيم فى نفوسهن ، وقد اشتد عطفهن على بطل القصة بازاروف .

وفى ربيع سنة ١٨٦١ نجحت إلزابث وسوفيا فى امتحان تبيح لهما الالتحاق بجامعة موسكو .



تولستوى قبيل زواجه

وكان البنات فى غير أوقات الدروس يخطن ويطرزن وينظفن المنزل ويقمن على مختلف شؤونه ، ويعلمن إخوتهن الصغار ؛ ولم يكن يكدر عليهن صفو حياتهن إلا ما يكون أحياناً من غضب أبيهن ، ولكنهن لم يرين أمهن الصبور الهادئة كيف تحتال بكل حيلة لتفثأ غضبه . فأثر ذلك فيهن أثراً حميداً .

كانت إلزابث كبرى البنات فتاة طويلة القامة ، ساحرة العينين ، فى ملامحها كثير من الجد والسكون ؛ وكانت هادئة باردة الطبع ، قليلة النشاط نوعاً ما ؛ وكانت أعمال البيت تضايقها وتثير فى نفسها الاشمئزاز ، ولعل مرد ذلك إلى كسلها وإلى رغبتها فى القراءة ؛ فكثيراً ما كان يرى فى يدها كتاب ، لا تكاد تفرغ من عمل حتى تعود إليه ...

وكانت تانيا صغراهن على نقيض إلزابث ، فتاة لعوبا مرحة لا تفتأ تثب هنا وهناك حتى لتملأ البيت كله بضحكها وصوتها الساحر الجميل . وكانت تسمى فى البيت « الشيطانة الصغيرة » ، وكان لها ولع بالموسيقى ، وكانت متقدة العاطفة ؛ تملأ قلبها حرارة الشباب ، تحب صاحباتها فتستغرق فى الحب ، ولا تنى

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة »

تظهر لكل من يراها إعجابها بنفسها وفرط إحساسها بذاتها .

وكانت وسطاهن صوفيا ، أو سونيا كما كانت تسمى فى البيت ، وسطاً بين أختيها : تميل إلى تاتيانا وتحب مرحها وتنكر من إليزابث سكونها وانطواءها على نفسها .

وكانت سونيا موفورة العافية ، نشطة متوردة الوجنتين ، براقة العينين ؛ وكانت ذات جمال وفتنة وبخاصة عيناها الواسعتان الرماديتان …

ولئن كانت تحب صوفيا مرح أختها تاتيانا ، إلا أنها كانت تحس أبداً أن هاجساً خفياً لا تدريه ولا تنكره يوحى إليها شيئاً من الحزن المبهم الذى يشوب مرحها دائماً ، فلا تحس سروراً إلا أحست معه شيئاً من الحزن ؛ كتبت لتاتيانا ذات مرة تقول « إن تلك الوهبة التى تحسدين عليها وهى الاستمتاع بكل شىء وبكل شخص بارزة فيك كل البروز ، أما أنا فعلى عكس ذلك ، إذ أجد ثمة شيئاً حزيناً فى كل مرح وكل سعادة » .

وكانت سونيا رحيمة بأخوتها ، تؤدى عمل البيت فى غير ضجر أو كلال ؛ وكانت مولعة بالأدب والتصوير والموسيق ؛ وقد احتفظت منذ الحادية عشرة بدفتر تثبت فيه ملاحظاتها ، وقد جاء فيه عن قراءتها قولها « لقد أحدث كل من » عهد الطفولة لتولستوى ودافيد كوبر فيلد لدكنز فى نفسى أعظم الأثر ، ولقد بكيت حين فرغت من قراءة كوبر فيلد لأنى سوف أفترق عن أولئك الأشخاص الذين باتوا أعزاء إلى قلبى » .

وكان يغشى بيت بيرز كثير من الأضياف ، وبخاصة فى يومى السبت والأحد ، وكانت بنات الطبيب زينة الدار ، وكانت أمهن شديدة الرقابة عليهن تحدجهن حدج اللائمة أمام الضيوف ، أو تنصح لهن بكلماتها إذا خانت إليهن …

وأخذ البنات يغشين المجتمعات ويشهدن حفلات الرقص ويشاركن فيها ، وقد ذهب لهن صيت فى الجمال والظرف والرشاقة وحسن الذوق .

وكان أول من أعجب بسونيا معلمها الشاب ، ولكنها كانت لا تكترث له ، ولا تعبأ بتنهداته ، وبينما كان يعينها على نقل مقعد إذ أمسك بيدها وقبلها ، فصاحت به كيف تجرؤ على ذلك ؟ ثم أرادت أن تريه مدى احتقارها إياه فمسحت بمنديلها موضع شفتيه من يدها ؛ ثم إنها أخبرت أمها بما فعل فلم تعفها من اللوم قائلة « لم لا تسلكين مسلك أختك إليزابث من الجد والاحتشام » وأبعد المعلم المسكين عن البيت …

وأعجب بها بعده ضابط شاب ، وكان ينتمى إلى أسرة غنية يدعى بولفانوف ، وأحست سونيا انجذاباً نحوه ، ولما قبل يديها ذات مرة لم تغضب ولم تشمئز ، ولكنها أحست النشوة تشيع فى هيكلها كله وباتت تتوقع وتحلم …

ولما هم بالرحيل صارحها برغبته فى أن يتزوجها ، وجعل لها الخيار أن تعدل عن رضائها إذا رضيت ، وذلك إذا اضطرته ظروف الحياة أن يغيب عنها . . . وأخذ أهلها هذا على أنه بعض عبث الشباب …

* * *

كانت أول زيارة ذات بال من جانب تولستوى لأسرة بيرز سنة ١٨٥٦ ، وقد أشرنا إلى هذه الزيارة من قبل ، وقد أعدت المائدة له ولمن كان معه من الضيوف إليزابث أوليزا كما كانت تدعى وأختها سونيا ، وكانتا يومئذ طفلتين فلاعبهما تولستوى وضاحكهما وجلس بعد الطعام يقص عليهما القصص عن سباستبول وما كان من أنباء الحرب ، وكانتا قد قرأتا « عهد الطفولة » و « عهد الشباب » وسرهما ما جاء فى الكتابين عن جدهما لأمهما وقد كان ذكرنا كما ذكرنا صديقاً لأبيه … وأحست البنتان سروراً عظيماً لجلوسهما بين يدى الكاتب النابه ، وداخل تولستوى السرور مما أحس فى الأسرة كلها من هناءة وأعجب بالبنتين وأختهما الصغيرة وما أشمنه حولهن من مسرة … ولقد أسرعت سونيا بعد رحيله إلى الكرسى الذى كان يجلس عليه فربطت فى رجله شريطاً لتعرفه ..

وفى سنة ١٨٦١ بعد عودته من رحلته الثانية إلى أوروبا ، زار تولستوى أسرة بيرز ، فأعجبه ما رأى من تغير البنات فقد غدون آنسات يغشين المجتمعات ويأخذن زينتهن فى كل مجتمع ؛ وتهفو إليهن أفئدة الشباب …

وتحدث إلى ليزا حديثاً فى الأدب والدين وأفاض فى الكلام من مدرسته ، وأوحى إليها أن تكتب شيئاً من محمد النبى العربى ومن مارتن لوثر ؛ وجلس مع سونيا إلى البيان ، ولعب معها

طرنج ؛ وعابث تانيا وضاحكها وقص عليها من قصصه ...
ولم يصرفه اهتمامه بمدرسته عن أسرة بيرز فأكثر من ـهما ، ورفعت الكلفة بينه وبينهم فكان يأتى إليهم فى أى ـن وكأنه واحد منهم ، وألفه البنات وألفهن ، وكن يشرن إليه لمن « الكونت » وألفه كذلك خدم الدار وبات يحبه ويأنس ـه كل من رآه ...

وتحدث الناس أنه عما قريب سوف يخطب ليزا إلى أهلها ، قيل إنه ذكر لأخته مرة أنه إذا تزوج يوماً ما فستكون ـسه من آل بيرز ...

وبلغ حديث الناس آل بيرز فسرهم ذلك أبلغ السرور ، ففى ـهم أن ليزا خير من تصلح زوجة للكونت ، وبات الأبوان ـبان الخطبة ، وسمعت بذلك ليزا فزادت من عنايتها بمظهرها ، ـت تحلم أحلام الحب والسعادة وفى نفسها عن « الكونت » قد شغفته حباً ...

ولكن تولستوى كان لا يحس فى نفسه أنه يحبها ، فقد جاء مذكراته فى شهر مايو سنة ١٨٦١ قوله « قضيت يوماً بهيجاً آل بيرز ، يجب ألا أقدم على زواج ليزا » وقال فى سبتمبر ـن إليزابث بيرز تغرينى ، ولكنى لن أدع ذلك يحدث ، فإن ـد الإغراء الذى لا يصحبه أى شعور ما غير مجد » .

وأحس أن سونيا تزداد كلَّ يوم قرباً إلى قلبه ، كما كانت ـد حسناً ، وأحست الفتاة زيادة اهتمامه بها ، وكان صاحبها ـفانوف قد غاب عنها غيبة تشبه القطيعة ، وكانت تتوجد ـانا ، حتى لتجهش إذا خلت إلى نفسها . ولما رأت إقبال ـستوى عليها أحست مع حسرتها على صاحبها وحيرتها من مسلك ـكونت ، وباتت تسأل نفسها : أهو حقاً يحبها ؟ ثم لا تلبث ـرى أنها واهمة فتذكر بوليفانوف ، ولكنها لا تكاد تلقى ـستوى حتى تملأ نفسها الحيرة .

وعرج تولستوى على موسكو فى صيف سنة ١٨٦٢ وهو فى ـه إلى سمارا ، فزار آل بيرز ؛ وكانت سونيا يومئذ تميل ـلها إلى تولستوى ، ولا تكاد تذكر بوليفانوف ، وكان يحس ـكونت نحوها أن قد أخذ يمس قلبه الحب .

ولما قص تولستوى على الأسرة كيف اضطر إلى بيع قصته قبل أن يتمها أو يهذبها ليؤدى بثمنها دينه بعد خسارته فى الميسر ، لم تقو سونيا على حبس دموعها رثاء له وتألماً من مسلكه . ولما رحل عنهم كانت سونيا حزينة تطيل النظر صلواتها فدنت منها «الشيطانة الصغيرة» تانيانا وسألتها فى خبث « أتحبين الكونت يا سونيا ؟ » فأجابت أختها فى دهشة « لست أدرى ... »

ولما عاد تولستوى من سمارا إلى قريته والغضب ملء نفسه مما فعل الشرطة بداره ومدرسته ، أنساه غضبه زيارة من زوجة بيرز ومعها بناتها فى أجمل ملابسهن الصيفية لأخته مارى فى ياسنايا بوليانا .

وشاع فى نفسه السرور بهذه الزيارة ، وكانت تراه عمته تاتيانا وأخته مارى وكأنه من فرط مرحه قد عاد إلى سن العشرين ، وباتتا ترتقبان أن يطلب يد ليزا .

وبلغ من حفاوة تولستوى بالفتيات أن عمل مع الخدم فى إعداد سرر نومهن بنفسه ، وكن فى الحجرة التى جعلت لهن يؤدين بعض ما يتطلبه هذا الأعداد وكم ضحكن فى مرح وغبطة والتقت عينا تولستوى بعينى سونيا ، وكانت بينهما نظرة طويلة وكأنه لم يرها إلا فى هذه اللحظة فإن شيئاً يحسه ولا يدرى كنهه يسرى فى هيكله كله ، وإن عينيها لتحدثانه حديثاً يفهمه حتى كأنه الهمس ، وإن عينيه كذلك لتحدثانها بكل ما فى نفسه .. وضرجت الحمرة وجهها فأشردت نظرتها ولكن بعد ان نفذت إلى قلبه .

وزاره فى اليوم التالى صديقه فت وبعض أصحابه فخرجوا مع البنات إلى الغابة وقضوا نهارهم فى مرح كان البنات مبعثه كما كن مبعث ما شاع حولهن من جمال وفتنة .

ولما رحلن إلى إفتسى حيث أرادت أمهن أن تزور أباها فى ضيعة التى ورثها من أمها فى هذه القرية التى كانت تبعد نحو أربعين ميلا عن ياسنايا ، لم يطق تولستوى الوحشة بعدهن ، فلحق بهن على جواد أبيض ونظرن فإذا به بينهن .

وكان القصر فى افتسى حافلا بالضيوف ، وكان عدد من السيدات والآنسات بينهن بنات بيرز يتهيأن للرقص ، ولكن تولستوى كان فى شغل بما توسوس به نفسه عما يدور حوله ، وجلس يحدث رب الدار حديثاً كانت تكدره خلجات وجدانه ،

سلافان

محنة الفردية في الأدب المعاصر (١)

للأستاذ شكري محمد عياد

لا أعرف كاتباً صور محنة الفردية في هذا العصر كما صورها جورج ديهامل. ولك أن تقول: محنة الفردية، أو محنة الفرد حسبما يحلو لك من رغبة في التجريد الفلسفي، أو التخصيص الإنساني.. وأنت مصيب على الحالين، فهي محنة يعانيها الأفراد المثقفون اليوم، لا في فرنسا وحدها بل في كل بلد مسته الحضارة الصناعية والإنتاج بالجملة. ومصدر هذه المحنة إحساس هؤلاء المثقفين ذوي الذكاء اللامع أو الإحساس المرهف أو الخيال الوثاب بأن هذا المجتمع الحديث لم يعد محتاجاً إلى ذكائهم اللامع ولا إلى إحساسهم المرهف ولا إلى خيالهم الوثاب، بل لعله ينظر إلى هذه الأمور التي كانت تمدها الإنسانية من قبل ميزات نظرة الشك والارتياب لأنها أصبحت تمد في دنيا العمل عوائق ومعطلات. وهم يلاقون من ذلك عناء غير قليل، حتى ليضطرون إلى إحدى اثنتين: إما أن يستبدلوا بذواتهم الحساسة ذواتاً أخرى أشبه بالآلة في انتظامها ودقتها، وأكثر انطباقاً على ما يتطلبه المجتمع الحديث، وإما أن ينسوا أنهم أفراد، ويلقوا بأنفسهم إلقاء في جيش الساخطين على هذا المجتمع، المدبن المدة لتغييره وفق ما يرونه الحق والصواب. وهم على الحالين لا يستطيعون الاحتفاظ بفرديتهم، ولا تحقيق ذواتهم، وقلما ينجون من هذا القلق الذي ينوشهم من كل جانب، وقلما يصلون إلى حالة من السلام النفسي الذي ينشدونه. وأكثرهم ينطوون على أنفسهم، ويختبرون إحساساتهم، ويطعمون أحلامهم وآلامهم، وربما وجدوا في الألم لذة أكبر، لأنه لا يلوح لهم بأشياء مستحيلة، ولا يعرضهم لخيبة قاسية.

هذه الفرقة من الناس، إذاً، ظاهرة بارزة في الحياة الإنسانية لعصرنا الحاضر، يعنى بها علماء الاجتماع، وعلماء النفس، والفلاسفة، والأخلاقيون، والأدباء، والفنانون. ولعل مما يزيد عنايتهم بها أن هذا الفريق من الناس هم الجمهور الأكبر من قراء الأدب والفلسفة، وأهل الفكر، ومتذوقي الفن. فكأن رجال الفكر والفن إذ يعالجون مشاكل هذا الفريق من الناس إنما يعالجون مشاكلهم هم أنفسهم في نطاق أوسع، وكأن هذا الجمهور إذ يطالع ما يكتبه له الأدباء والمفكرون إنما يطلع على مشاكله الخاصة، وما يقدمون لها من حلول.

كتب جورج ديهامل سلسلة من خمس قصص تدور كلها حول محنة الفردية في العصر الحديث، أي حول التنافر بين الفرد ونفسه، وبين الفرد ومجتمعه. وابتدع في هذه شخصية « سلافان »، وهي شخصية لا تقل حياة ولا صدقاً ولا عمقاً عن شخصية « هملت » أو « دون كيشوت ». هي شخصية ذلك المثقف المرهف الحس الذي يلفظه المجتمع الحاضر، وتخنقه أوضاع الحياة التافهة العادية. على أن ديهامل لا يتخذ بطله من أولئك المثقفين ذوي الثقافة العالية المنظمة، ولا من أولئك المفكرين السحابيين الذين يعيشون في أبراج عاجية، وإنما هو رجل من عامة الشعب، لم ينل ما اصطلح الناس على تسميته

(١) مقدمة لقصة « اعتراف منتصف الليل » لجورج ديهامل — ترجمة عربية تظهر قريباً.

فإن كل شيء من مراح الشباب وزياطه يذكره بشبابه الذي ينطوي وروحه التي تخمد؛ وإنه ليحس وهو بعد في الرابعة والثلاثين كأن بينه وبين الشباب أمداً بعيداً.

وجلس غير بعيد يترقب ويغالب ما في نفسه من حسرة، وجاءته سونيا تمشي على استحياء وقد حان وقت الرقص فقالت: ألا ترقص الآن؟ فأجابها وهو يخفي همه بابتسامة: إني اليوم أكبر سناً من أن أفعل ذلك..

وقد جعل باله في تلك الليلة إلى سونيا، يدور بعينيه إلى حيث تكون، وكانت سونيا تقابل نظراته بنظراتها وكأنما تقول له إنها تدرك ما في نفسه، وكان يحمر وجهها في صورة ملحوظة كلما دنت منه.

ولحظت ذلك عينا ليزا فأفلت منها زمام أعصابها وقالت لأختها الصغرى، بعد الحفلة وهي تجهش: إن سونيا لتحاول أن تأخذ مني الكونت.. ألم ترى ذلك؟ إن مسلكها وإن عينيها وإن رغبتها في أن تنفرد به، كل أولئك الآن يبدو جلياً...

(البقية في العدد القادم) **محمود الخفيف**

افة المالية ولا الثقافة الثانوية ، ولكنه قرأ كثيراً وفكر
براً .. يقول لصديق : « إنني فقير ، وقد كنت فقيراً دائماً ،
ست كما يدرس الفقراء ، أعنى أنني درست دراسة فقيرة . وقد
ى ذلك وبخاصة فى السن التى يتألم فيها المرء لمثل هذه الأمور .
خذت أثقف نفسى بنفسى ، وعلى قدر استطاعتى ، فأنا أعلم
م أكثر مما يعلمه غالبية البورجوازيين فى مثل سنى . ولكن
مع أنى لم أتعلم هذه الأشياء بطريقة منظمة ، كما تقول . ومن
، يعدنى الناس مثقفاً ، وأصدقك القول إننى مستنى العدوى
أفكار الناس عنى ، فأصبحت أشك أنا أيضاً فى ثقافتى . إنها
ة طيبة ، لا تخلو من رسوخ وغنى ، ولكنها ليست ثقافة
سيلة » . لا ضير ! إننى مثابر على القراءة .

وهو يقضى سحابة نهاره فى بعض تلك المكاتب التى تؤوى
ات أو مئات من طبقته ، يؤدون أعمالا تافهة . وهو مشغوف
حيق بعالج النفخ بالناى ، ولكنه يقول عن نفسه : « والأمر
أننى لنقص الدربة والدراية والدرس أوقع بطريقة عاجزة
نية قطعاً أحسها إحساساً طيباً ؛ إذ ينبغى أن أقول — لأكون
فى الحكم على نفسى — إنى مشغوف بالموسيقى ، وإنى أؤدى
أنبل مشاعرى . ولكنى حين أجاهد آلتى لا يبدو على أننى
شيئاً مما أرقمه ، على حين أن أورن مثلا — وهو ينفخ
ناى أيضاً — أورن هذا الذى لا يفهم شيئاً من الموسيقى ،
كن له أصابع متمرنة ، يخيل إلى من يسمعه أنه مشبوب
دان » .

وقد تسأل : لماذا جعل ديهامل بطله مثقفاً عامياً وفناناً
ا ، ولم يختره رجلا ممتازاً فى ثقافته أو فنه ؟ ألا يكون فى
الصورة الأخيرة أصدق تمثيلا لمشكلة المثقفين فى هذا العصر؟
كننى أذكرك بأمرين اثنين : أولهما أن ديهامل لا يعالج مشكلة
ين الممتازين وحدهم ، ولا مشكلة هؤلاء المثقفين الممتازين
خاص ، بل مشكلة كل من يتغلب فيهم جانبا الفكر
جدان على جانب العمل ، وطبيعى ألا يبلغ هؤلاء جميعاً رتبة
رية . والأمر الثانى أن القصة والأدب على العموم قد اتجها
ة شعبية منذ ظهر المذهب الواقعى فى الأدب واتخذ موضوعاته
لحياة العادية ، حياة الناس العاديين . لم يبق الأدب تصويراً
لحياة الأبطال وصراعهم ، بل أخذ أشخاصه من زحمة الحياة
العادية التى تمج بصنوف المآسى والمساخر . ولعل هذا هو الأثر
الخالد للمذهب الواقعى فى التراث الأدبى الإنسانى ، فما أظنه قد
أصبح فى استطاعة الأدب فى حاضره أو مستقبله أن يترفع عن
مشاكل جماهير الناس مهما تكن طبقتهم أو ثقافتهم أو محلهم ،
ولا أن ينتزع العواطف الإنسانية من مجالها الطبيعى ، ليضعها
فى إطار من العظمة المصنوعة . وقد ظهر المذهب الطبيعى وعميده
زولا بعد المذهب الواقعى ، فزاد هذا الاتجاه بالأدب نحو الشعب
قوة ووضوحاً . فديهامل محافظ إذاً على تراث الأدب الفرنسى
الخالد ، وهو فى الوقت ذاته دقيق الإحساس بالمشكلة التى يعالجها
حين يختار بطله نكرة من النكرات ، أو كما يقول هذا البطل
عن نفسه :

« رجلا لا يختلف فى شىء عما ألفه الناس ، رجلا يشبه كل
الرجال إلى حد مخيف ! »

ظهرت قصتنا Confession de Minuit — وهى الأولى
فى مجموعة سلافان — سنة ١٩٢٠ ، ثم تلاها « رجلان »
Deux Hommes سنة ١٩٢٤ ، و « يوميات سلافان »
Journal de Salavin سنة ١٩٢٦ ، و « نادى ليونيه »
le Club des lyonnais سنة ١٩٢٩ ، وأخيراً « كما هو »
Tel zu'en lui méme سنة ١٩٣٢ . حلل ديهامل فى القصة
الأولى عناصر التناقض بين الفرد ومجتمعه ، وبين واقع الفرد وآماله ،
وبين أفكاره وأعماله . صور ذلك كله منعكساً على ذهن سلافان
فهو لا يقص أحداثاً ، بل أفكاراً بلغت من قوتها وتمكنها
مبلغ الأحداث ؛ فهى أحداث بالنسبة لصاحبها ، وهى مغامرات
حقة تمسك أنفاسك وأنت تقرؤها ... أحداث هذه القصة لا تعدو
أن سلافان يفصل من عمله على أثر حادثة عدها الناس حمقاً منه
وشذوذاً ، ورآها هو عملا ضروريا يرد إليه ثقته بأنه انسان
يعيش بين أناس . وليس بعد ذلك إلا البطالة والتشرد والفاقة ،
وأحلام الحرمان ، وأوهام القلب الوحيد .

وفى القصة التالية « رجلان » نرى سلافان الصديق ... نراه
فى ضوء تلك الصلة النفسية العميقة التى تكشف من أسرار
النفوس ما لا تكشفه الأفكار ولا الأحلام ولا الأوهام .

نظرات فى الأدب العراقى

للأديب غائب طعمة فرمان

هل هناك أدب عراق ؟

سؤال يسأله كثيرون ولا يظفرون له بجواب مقنع ، ولا برأى صائب صحيح .

أما الشيوخ فيزمون بشفاههم احتقاراً وسخرية ، ويهزون رؤوسهم تهكما من السائل واستخفافاً بالسؤال ، فيكفرون بالواقع وينكرون على العراق أدبه ، وعلى الشباب يقظته ، وعلى الجيل الجديد رسالته ؛ ثم يلقون عليك المواعظ والأمثال ناعين لك الأدب ساخطين على شياطينه الجديدة .

أما الشبان فيرفعون رؤوسهم افتخاراً ، ويقرون بوجود أدب عراق يواكب الحضارة ، ويتفق مع روح العصر الحاضر ، ويستجيب لضرورات الحياة الحاضرة ، وينظر إلى الوجود كينبوع يستمد منه الأدب الهامه ، ويقتطف منه زهرات وحيه

أما الأولون فغالون ، وأما الآخرون فمغرورون .

والأدب لن يزول من الوجود ما دامت هناك حياة ، ومادام هناك شعور بالحياة . فالوجود الماس بالشعور ، الكامل بأكاليل الحياة ، المتنعم بنعيم الإحساس لم يفقد الأدب ولن يفقده أبد الآبدين .

لأن الأدب — فى أبسط مدلولاته — مجموعات تجارب حية يسجلها الفنان فى ألفاظ ، ويرمز لها برموز ليستدل بها من رصيدها الكامن من الأحاسيس والمشاعر ... وهنا يتحدد وجود الحياة ، ويترتب عليه إنشاء الفن .

وأخطل الرأى أن نتصور انعدام أدب أمة وهى ما زالت تتنعم بالحياة .

لأنك فى ذلك تنكر وجودها ، وتسلبها نعمة الحياة ، أو تجعلها فى رتبة الجماد سواء بسواء .

فلابدَّ من وجود أدب إذا وُجدت أمة ، لأنه لابد من وجود شعور إذا وجدتْ حياة . والأشياء المحيطة بنا ، اللازمة لنا ، نتأثر بها ، ونشعر بوجودها أو بمكان وجودها فى مخيلتنا الواعية ؛ ولهذا كله كان الأدب قديم المولد قِدم الحياة ، وواكب الإنسانية فى تاريخها ، وصاحبها فى نضالها ، ورسم لها صورة الكفاح مع الطبيعة .

وصديقه رجل لا يشبهه فى شىء من الأشياء إذا كان سلافان مثال الرجل الذى لا ينسجم فكره وعمله فإدوار مثال الرجل الذى يقيس فكره على قدر عمله . وإذا كان سلافان مثال الرجل الساخط على وجوده فإدوار مثال الرجل الراضى من وجوده . وإذا كان سلافان مثال الرجل الذى يزداد انحداراً كل يوم ، فإدوار مثال الرجل الناجح الذى يزداد كل يوم صعوداً . إدوار هو على الجملة صورة حية للمجتمع الحديث . هو الرجل الذى تخضع حياته لنظام لا يحيد أو لا يكاد يحيد . هو الرجل الذى يترجم جميع أفكاره إلى أعمال ، وجميع دوافعه ونوازعه إلى مصالح . هو الرجل الذى تنسجم رغباته مع واقع الحياة ، حتى لتحار أيهما يستجيب للآخر ... أهو يكيف وجوده طبقاً لواقع حياته ، أم هى أحداث الحياة تنساق مع رغباته ؟ يعرف سلافان من مطعم كانا يترددان عليه وكأنه يحس فيه ضعفاً وعجزاً من المضى فى تيار الحياة الزاخر ، فيود لو يسنده بذراعه القوية ليزداد التذاذاً بقوته ... ويقبل سلافان — بعد تردد — هذه اليد الممدودة إليه ، ويبذل له الصديق من جاهه وماله ، ويقبل سلافان هذه الهبات أيضاً ، ولكن على حساب كرامته وكبريائه ، حتى إذا ضاق صدره بعد سنين طوال من هذه الصداقة غير المتكافئة ، ثار على ما ألقى فيه من عبودية ، وفارق صاحبه فراقاً غير جميل .

والقصص الثلاث الأخيرة تصور صراع سلافان لتحقيق فرديته . فإنه لم يحدد بعد مطلبه من الحياة ، وإنما كانت نفسه أشبه بصندوق رنان ، كل عمله أنه يضخم الذبذبات التى تصل إليه من الخارج : ولكنه قد بدأ يحس نزوعاً إلى إكمال نفسه ، فصاحبه يقول له قبل أن يفارقه : « ما بك ؟ » فيجيب : « بى كل ما ليس بى ... أشياء لا تستطيع أن تمنحنى إياها يا إدوار... السلام . السعادة . روح خالدة . الله . »

(البقية فى العدد القادم)

شكرى محمد عياد

وبعض الناس لا يفرق بين وجود الأدب وازدهاره وا كتمال
بيه الفنية ؛ فهم إذا قالوا : إن العراق ليس له أدب عنوا بذلك
 يملك أدباً فنياً مزدهراً .

والحقيقة أن العراق — ككل أمة حية — لها أدب ،
كنه لم يكتمل بعد أساليبه الفنية ، وأن الروّاد الأولين عند
، القرن العشرين ليُذكرون بالاجلال والاحترام لا لأنهم
وا بالأدب العراق إلى منزلته العليا ، ولا لأنهم أصابوا حظاً
من التجديد ، بل لأنهم عبّروا عن الجيل الناشئ ، ووا كبوا
ب العراق فى قصة نضاله ، وسجلوا آثاره وعواطفه
الامه . ولم يتأخروا عن قافلة الحرية السائرة .

والعراق قريب عهد بنور الحضارة ، وقريب عهد بنور الحرية
ب عهد بعصر النضال والكفاح فى سبيل السيادة الوطنية ،
ستقلال الذاتى . وما زالت صور الاحتلال العثمانى البغيض
فه المؤلم ، وأصداء الثورة العراقية ترن فى الآذان ، ولا زالت
الكفاح لنيل الحقوق كاملة ، والاستمتاع بالحياة حرة ،
عتاق من القيود والأصفاد قصة الشعب العراقى المتكررة
ة المادة .

والعراق بلد الثورات والانتفاضات ، ومهد الحرية الفكرية
صر الإسلام الذهبى ؛ والعراق عابد الحرية والاستقلال أبداً
مجبول على الاستمتاع بها ، والتضحية لأجلها . وتاريخ العراق
ة من الثورات الداخلية والخارجية ، وسلسلة من التمرد
رر من الوضع القائم . وقصة الشكاية قصة الشعب العراقى
متبق خالدة سرمدية ، يشتكى من السلطان ، ويشتكى من
مة ، ويشتكى من الحياة ، ويشتكى من الناس جميعاً . ولن
 هذه الشكايات لأنها لازمة من لوازم طبعه أو التأمين
بياته .

فمنذ عهد مغرق فى القدم كان العراق بركاناً للثورات ، وناراً
رمة الأوار ، لا تخمد نار ثورة إلا لتقوم مقامها ثورة أخرى ؛
مهد الإسلامى لم يهدأ فى حقبة من الحقب ولم ينل منه
قرار أى منال . والخلفاء العباسيون لم يستطيعوا على رغم
م ونفوذهم ، وامتداد سلطانهم أن يهيمنوا على الوضع ،
ئوا لهيب النار ، فما فتئت الثورات تتوالى ، والتمردات
ب ، وتراخى الزمن يزيدها عظمة واتساعاً .

والحال كانت أعظم اضطراباً ، وأشد نكاية ، وأكثر تلهباً
عند ما زال نفوذ العباسيين ، واضطرب حبل الأمن ، وتناهبت
الأمبراطورية الإسلامية أمارات ، ودولة نشأت فى بقع مختلفة ،
واشتد النزاع فيها على السيادة السياسية والفكرية ، وطال الصراع
ولم ينته إلا باجتياح العثمانيين الأمبراطورية المقطعة الأوصال
الكثيرة الاضطراب .

والعهد العثمانى مظلم كئيب ، سارت فيه المأساة بخفوت
وصمت ، وامتلأت النفوس غيظاً ، والقلوب حقداً على الترك
المحتلين ، ومقتاً لهم ، وحباً للتخلص من تعسفهم وظلمهم ..
ولم يسكت العراق عما يجول فى ضميره ، وعما يضطرم فى قلبه
من نوازع الحرية ، ودوافع الثورة وما انفك يطالب بالإصلاح
ويعلن سخطه على الولاة الظالمين .

وفى العهد الوطنى لم يسكت العراقيون ، وظلوا يطالبون
بالحقوق ، ويلهجون بالاستقلال التام ، ويتحرقون للعدالة
الاجتماعية والديمقراطية الصادقة . والحكومات تتوالى والوزارات
تتبع الواحدة الأخرى ، والشعب دائب على إعلان السخط . .

فما سبب كل هذا ؟

ما علة هذا التمرّد الطويل ، والتقلب الدائم ، والسخط
المستمر ؟

من الشائع المفهوم أن للبيئة الأثر الأكبر فى تكوين مزاج
الفرد ، وتلوين نفسه وتميز طباعه

فلننظر إلى الطبيعة العراقية لنستشف من خلالها طبائع
العراقيين ، وأمزجتهم الخاصة ، وطابعهم المميّز لهم .

الجغرافيون يقولون : إن طبيعة العراق متقلبة لا تثبت على
حال ، ثائرة لا تستقر على منوال … فهو بلد قارى متغيّر الطقس
تغيراً سريعاً ملحوظاً : قارس الشتاء ، حادّ القيظ ، وشمال
العراق متوج بجبال عالية تكللها الثلوج ، وجنوبه مكتنفٌ
بصحراء واسعة جافة ، حمراء الرمال ، كثيرة الزوابع فكثيراً
ما تهب الرياح حاملة معها رمالاً مزعجة حمراء .

فى هذا الجو الناضب المتقلب يعيش العراق . فماذا يكون
مزاجه وطبائعه ؟

فلا بد من أن يتقلب كما يتقلب جوه ، ويتلون كما تتلون
بيئته ، ويثور ويصخب كما تثور صحراؤه وتصخب .

واصطبغ الأدب العراقى الصميم — منذ عصور إزدهاره —
بصبغة التمرد على الحياة ، والضجر من الطبيعة ، والتأفف من

الناس . وهذا ما نقرأه فى شعر الشعراء العراقيين الذين يمثلون الطبيعة العراقية ، ويستجيبون لوحى البيئة والمحيط ... وتلك الصرخات الداوية فى الشعر العراقى العباسى ما هى إلا استجابة للبيئة . والشريف الرضى والمتنبى جبلان شامخان يبرزان فى محيط الأدب العربى واضحى الدلالة ، مميزى الأعلام .

ولولا الأثر الذى تركه تمازج العــــرب بالأمم الأجنبية ، وتهافت الأجانب على العراق ، وتأثير السياسة العباسية لظهر الأثر ، أكثر وضوحاً ، وأبرز سمات .

وَوُسِمَ الأدب العراقى بالسخط كما وُسِمَ بالثورة ، وفقد الرجل العراقى إيمانه الثابت الراسخ بما تُسن من نظم ، وبما تقوم من حكومات ... لأن مسرحه المتقلب أفقده الإيمان بالبقاء الدائم فى كل ما يرى من الأشياء التى تواضع الناس عليها .

وهــذه العوامل مضافاً إليها أثر الإخفاق الدائم فى أغلب ما يحاول من أمور ، فى أعم ما يؤمن به من دساتير وحكومات — خلقت روح الكآبة المرة فى نفسه ، وأشاعت الألم فيه ... والإخفاق الدائم يبلغ الفرد إلى الانطواء على نفسه ، وإلى الكآبة القاتمة ويضفى روحاً تشاؤمياً خفيفاً على آرائه وعواطفه ... فلهذا لم نشهد فى تاريخ العراق الطويل رجلا نستطيع أن نضمه إلى دعاة التفاؤل ، والمؤمنين بسير البشرية إلى الحياة السعيدة ، وبلوغها مراتب الاطمئنان والأمان .

وللأسباب ذاتها لم يخلق فى العراق فيلسوف يحسب له حسابه ، ويشمخ مع الشوامخ من الفلاسفة العالميين .

والأدب الشــــعبى العراقى يرسم لك النفس العراقية التى صورتها لك تصويراً صادقاً تاماً .

وتلك الخطوط والملامح تبين لك الأدب العراقى وتجسمه تجسيماً واضحاً ... ولا مناص من وجودها فى الأدب العراقى الصادق .

وإذا استطاع العصر الحاضر أن يضع حداً لهذه الملامح والخطوط ويخرج لنا أدباً يميل إلى التحرر من عبودية هذه السمات فالفضل فى ذلك لنور الحضارة القائمة على تقارب الأمزجة ، وترابط الأمم .

فلم يعد كل قطر مهما بلغ من عزلته وانطوائه على نفسه ، وحرصه على البقاء فى حدود ذاتيته مستطيعاً أن يقاوم تيار الحياة الجارف القائم على الأخاء والتعاون

ولــكن حذار من أن نفهم من ذلك أن ننسى أنفسنا ونبتر قوميتنا ، ونتجنى على تاريخنا ومن الخطأ أن يظن أن القومية والأخذ بأسباب الحضارة الحاضرة طرفا نقيض ... ومهما يكن من طغيان التيار الأممى فإن ملامح القومية لا تزول ولن تزول أبد الدهر ... ونحن العرب لا نزال نعتز بقوميتنا ، مقدسين لتاريخنا .

والسمات والملامح التى رسمتها لن تزول كلها أبداً .

وهى قد عينتْ لنا الأدب العراقى وصوّرته ، وبينت حدوده وقسماته ، وعلى ضوئها يمكن أن ندرس من نحب دراسته من شعراء العصر الجديد لنرى مصداق ما كتبت .

ويجب أن أنبه إلى ملاحظة واحدة قبل بدء الدراسة وهى : أن تلك العوامل السالفة الذكر لم تمط مجالاً لظهور الأدب الذاتى ولم نر إلا بعض الأشباح الهزيلة تظهر شفافة ضعيفة ثم تختفى . . لأن الحياة الصاخبة القاتمة الممتلئة بالنشاط والحيوية لا تدع للأدب أن ينشىء أدباً ذاتياً بعيداً عن واقع الحياة ودوافعها ، بعيداً عن أحاسيس الجمهور وشعوره .

غائب طعمة فرمان

كلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

من ديوان « الشروق »(*):

موت فنان

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

رثاء فنان مسجى على فراش الموت وقد سكن كل شيء في الليل إلا من نحيب الباكين من حوله وقد حمل الأثير على أجنحته صدى صوته في أغنية من أغنياته

غناؤك العذب في الظلام   يرن في مسمع الزمن
وأنت في قبضة الحمام   كالحلم في قبضة الوسن

أأنت يا صامتا تؤوب   أيامه للمدى البعيد
الصادح المرقص القلوب   الساحر الفاتن النشيد ؟ !

أأنت ... !؟ لا ... أنت غيره   فأين لي شدوك الجميل ؟
قد فارق العش طيره   وهام كالحائر الضلول

كم خيم الحزن في رحابك   ونام في ساحك الرنين
تمزق الليل بانتحابك   وترعش النجم بالأنين !

يا مغرق الكون في الأغاني   الكون يشتاق للهزار
غرقت في لجة الزمان   فهل تعمقت للقرار ؟

هجرت ألحانك العذاب   وعشت في صمتك الحزين
تجرع اليأس والعذاب   وتشرب السقم والمنون

أأنت من حرك النفوس   بصوته الساحر الرؤوم ؟ !
أأنت من أرقص الكؤوس   أأنت من أرق النجوم ؟ !

أأنت ... ؟! لا ... أنت غيره   فأين لي صوتك الحنون ؟
قد بان للسيل فجره   وأنت مستسلم الجفون !

أصمتك الموحش الكئيب   يا هاتف الأمس سخرية
بعالم مغرم يذوب   على ترانيم أغنية ؟

قد غالك السقم واستبد   وأنت في ميسمة الشباب
سلت قيثارة الأبد   لجاهل لحنه اضطراب

يطوف في ساحك القدر   مجعد الجبهة اكتئابا
يضم من كوبك الزهر   ويحطم الفن والشبابا

قد خف في صمتك المنون   بروحك الحية الصدى
فت في الليل .. والسكون   يكفكف الطل والندى

غناؤك العذب في الظلام   يرن في مسمع الزمن
وأنت في قبضة الحمام   كالحلم في قبضة الوسن

حسن كامل الصيرفي

اذكريني ...

للأستاذ عبد القادر القط

افترقنا . . فاذكري الماضي ولا تنسي صداه
والمحي في كل محزون خيالا من رؤاه
وإذا طالعت في دنياك ألوان الحياه
من شقاء وصفاء ومهانات وجاه
فأطيلي وقفة الآسي على النبل المهين
وصبابات أماني وجاه . . . واذكريني

وإذا رفرف عصفور بأجواز السحاب
مرح الخفقة واللفتة صداح الإياب
وتدلى . . فرأى في العش أظفار الخراب
ورأى أفراخه الزغب دماء في التراب
فاذرفي من دمعك الغالي على الطير الطعين
ونفوس شفها ذل التراب . . واذكريني

وإذا ألقت بأيديها إلى القيظ الظلال
واستباحت لفحة الشمس محاريب الجمال
ورنا الزهر إلى النور بأجفان ثقال

(*) يصدر بعد أسبوع عن دار المعارف بمصر

وتمشت في رحاب الكون أنفاسُ الكلال
فأحسّي اللفحَ والضيقَ مع الظلِّ السجين
وانشُدي الرَّوْحَ لأبناء الكلالْ .. واذكريني

—

وإذا أتتْ على صمت من الليل الرياح
وتوارت في دياجي السحب آفاقُ الصباح
وأفاق الطير من نجواه مذعور الجناح
وصحَت من حولك الدنيا على وخز الجراح
فدعي روحك تنسابُ مع اللحن الحزين
وامنحي الرحمةَ أنضاء الجراح ... واذكريني

—

وإذا ما خفق الشجو على سُمر الغصون
باكيات تاجها الأخضرَ في كفّ المنون
وتبدّى الأفقُ الشاحبُ مقرورَ الجبين
وطفت في خلَد الأعياء أحزان السنين
فابعثي في نفسك المراح مطوىَّ الشجون
وجراحات أقرتها السنين ... واذكريني

عبد القادر القط

الأدب والفن في أسبوع

تكريم الفائزين في مسابقة المجمع اللغوي :

أتينا في العدد الماضي على نتيجة المسابقات الأدبية التي احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بإعلانها في دار الجمعية الجغرافية الملكية ، وقد حملنا التهيؤ للطبع على الاقتصار بذكر أسماء الفائزين وجوائزهم ، ونذكر الآن أهم ما كان في هذا الحفل وخاصة تقديم الفائزين .

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني كلمة عن الشعر قال فيها إن الشعراء الذين يظهرون في الأمم أكثرهم ينسون ، لأن الشعر كسائر الفنون ، لا يخلد فيه إلا الأعلون أو الذين يقول فيكتور هيجو إن حرارة نفوسهم تبلغ درجة الغليان التي ما فوقها درجة. وما أكثر من قالوا الشعر في كل أمة وكل جيل من أجيالها ، وما أقل من بقيت أسماؤهم مذكورة ، لأن الأوساط لا يحصون وذاكرة الدنيا أضعف وأضيق من أن تعي غير الأفذاذ ، والوسط كالردىء في ميزانها أو حسابها ، كلاهما يسقط من الحساب أو يعيل في الميزان .

ولقد تلقى مجمعنا في هذه المسابقة أكثر من ثلاثين ديواناً كلها من الوسط ، فكان بين أمرين ، أن يتشبث بالمثل الأعلى وذلك عزيز ، أو أن يؤثر التشجيع وسبيله أهدى ، فآثره ، ونظر في الشعر الذي عرض عليه متسامحاً ، واستخلص أربعة دواوين قسم الجوائز بين أصحابها ، لتعذر المفاضلة الصريحة مع التقارب الشديد ومن هذه الدواوين ما يجرى على النهج القديم أو التقليدى ، وما يؤثر نهجاً جديداً ، وما يتبع القديم حيناً وينحرف عنه حيناً ، ولكن فيها كلها اجتهاداً واضحاً وإخلاصاً بيناً ، وكثير مما ترك إجازته ليس دون هذه كثيراً ، ولكنه كان لابد من مقياس للمفاضلة ، والمقياس هو وضوح الشاعرية وحسن الأداء ووفاؤه أو على الأقل سلامته من الشوائب .

وهكذا كاد الأستاذ المازني يخلع أصحابه من الشعر (مع الفارق بينه وبين أبي موسى الأشعرى) كما خلع نفسه من قبل .

وقد قدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الفائز في البحث الأدبي « مهيار الديلمي وشعره » فأفاض في الثناء عليه وفي بيان قيمة بحثه ، ولم يأخذ عليه شيئاً .. ومما يذكر أنه لم يقدم في مسابقة البحوث الأدبية غير هذا البحث وبحث آخر في « البيئة الأدبية في المدينة أيام بني أمية » وكانت المفاضلة بين البحثين ، ففاز الأول .

وقدم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الفائزين في القصة ، فعرف بكل منهما وبين أثر دراسته في أدبه ، وقال إن قصة الأستاذ نجيب محفوظ « خان الخليلي » تمتاز بالروعة القصصية الفنية ولكن يلاحظ على أسلوبها عدم الدقة في الناحية اللغوية أما قصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان فتمتاز بصدق التاريخ وسلامة الأسلوب وصفاء الديباجة وصحة اللغة والعمل الفني فيها مقبول .

المعجم الكبير :

من قرارات مؤتمر المجمع الموافقة على نموذج المعجم الكبير ن حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من ظفين وخبراء .

وهذا المعجم مقرر أن يخرج بمقتضى المرسوم الملكى بإنشاء مع ، ليكون شاملاً لألفاظ اللغة العربية وتحقيقها وبيان شتقاتها بأسلوب جديد وعلى نمط يلائم التقدم العلمى الحديث . د اتفق على أن يكون الدكتور طه حسين بك مقرراً لهذا المعجم أن يختار له مساعدين لإعداده ، ومن بين هؤلاء المساعدين ن يكون ملماً باللغات السامية باحثاً فى العلاقات بينها وبين اللغة عربية ، وقد طلب إلى الدكتور طه حسين بك وضع نموذج ذا العمل يعرض على المؤتمر حتى إذا أقره أمكن المضى فى إعداد معجم على أساسه ، فقام الدكتور طه ومعاونوه بوضع نموذج ضمن مادتى « أبر » و« أجر » وأظهر ما فى هذا النموذج تقسيم ادة الأصلية إلى معان رئيسية تتوزع الصيغ المسموعة فى هذه مانى ، على أن يصدر كل قسم من أقسام المعانى الرئيسية ببيان يقابله فى اللغات الأكادية والعبرية وغيرهما من الشقائق السامية ، كذلك تضمنت المواد بيان أهم الأعلام الجغرافية والتاريخية التى افق هاتين المادتين ، وأضيف إلى الصيغ العربية الأصلية ما جد الاستعمال العربى من مصطلحات وكلمات تجرى فى الشؤون امة مما عنى بتسجيله دوزى ولين وغيرهما .

وقد طبع هذا النموذج وعرض على أعضاء المؤتمر لدراسته نوقش فى إحدى جلساته ، وأذن المؤتمر بالجرى فى وضع المعجم ى هذا النسق بعد إبداء ملاحظات طلب أن تكون موضع النظر

وإدارة المجمع الآن بصدد اختيار المعاونين فى وضع المعجم عرض الأمر على مكتب المجمع لتدبير الوظائف وتقدير كافآت المعاونين الذين يندبون من خارج المجمع .

الواجب الثقافى نحو الجنوب :

لبى الدكتور طه حسين بك دعوة رابطة الطلبة السودانيين ى اختتام موسمها الثقافى بإلقاء محاضرة عن « واجب مصر ثقافى نحو الجنوب » بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية يوم الجمعة

قال الدكتور طه : إن مصر قصرت فى نشر الثقافة سودان تقصيراً لم يكن لها فيه حيلة لأنها كانت مكرهة عليه بل هو كتقصيرها فى حق نفسها ، لتحكم الإنجليز فى شؤونها ، واستمر تقصيرها الثقافى إزاء السودان بعد أن حصلت على استقلالها الداخلى وتمكنت من تدبير أمرها فى التعليم ، لأن الإنجليز حالوا بينها وبين السودان بخلق المشاكل التى بدأت بقتل السردار وإخراج الجيش المصرى من السودان ، وظل الإنجليز يخلقون المشاكل ويضعون العقبات فى سبيل الثقافة المصرية بالسودان إلى اليوم ، وأشار الدكتور إلى الصعوبات التى صحبت إنشاء مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، تلك الصعوبات التى لا يعرفها أكثر الناس والتى لا تزال قائمة إلى الآن . ثم قال : على أنى أفترض أن هذه الصعوبات والعقبات لم تكن وأن مصر خلى بينها وبين تدبير أمر الثقافة بوادى النيل شماله وجنوبه ، فماذا كان يحدث ؟ كان لابد أن تولى التعليم بالجنوب من عنايتها ما تبذله للشمال ، فكانت تنتشر المدارس على اختلاف درجاتها فى أقاليم السودان انتشارها فى أقاليم مصر ، وكانت جامعة فؤاد الأول بالقاهرة تستقبل الطلبة من الجنوب كما تستقبلهم من الشمال ، وحين فكرت مصر فى إنشاء جامعة ثانية لم يكن مكانها إلا الخرطوم قبل الإسكندرية . ولكن الإنجليز حالوا دون كل ذلك ليفرقوا بيننا فى الثقافة ، وفى الوقت الذى حاربوا فيه الثقافة المصرية فى الجنوب أباحوا لأنفسهم ما منعونا منه فصبغوا التعليم هناك بصبغة إنجليزية وحملوه على أوضاع تخالف أوضاع التعليم المصرى ، وإن مما يؤسف له أن المدرسة المصرية الوحيدة التى أنشأتها الحكومة المصرية بالسودان على منهاج التعليم المصرى ، تخضع لنظم الحكومة السودانية المركزية وتحكمها ، ولا تظفر هذه المدرسة من الحرية فى تدبير أمرها بشىء مما تظفر به المدارس الأجنبية فى مصر .

ثم انتقل الدكتور إلى الكلام على الوحدة الثقافية فقال إننا يجب أن نتفق على أن هذه الوحدة أساسها توحيد التعليم فى جميع مراحله بجنوب الوادى وشماله ، عدا ما تقتضيه أحوال الأقاليم الجغرافية والاقتصادية من اختلاف كالمتبع فى مراحل التعليم الأولى بأقاليم القطر المصرى ، وقال إن وحدة الثقافة هى الخطوة الأولى والأخيرة والمتوسطة فى وحدة الوادى ، لأنها تشع فى القلوب شعوراً واحداً وفى العقل تفكيراً واحداً وفى النفوس عاطفة واحدة ، وحينما يتم ذلك لا يستطيع الانجليز ولا مجلس الأمن ولا أية هيئة أخرى أن تفصل جنوب الوادى عن شماله .

وقال الدكتور : إننا ما دمنا مؤمنين بالوحدة الثقافية إيماناً

حقاً لا رياء فيه فيجب أن نعمل على تحقيقها ، وذلك بفتح المدارس المصرية على مختلف درجاتها وعلى مصاريعها للطلبة السودانيين ، وإذا اختلفنا فى التعليم بمصر أيكون للمصريين بالمجان أم بالثمن فلا ينبغى أن يختلف هذا الاختلاف بالنسبة إلى السودانيين ، بل يجب أن يتعلموا فى جميع المدارس المصرية بالمجان ، ويجب أن تهيأ لهم إلى جانب ذلك وسائل الحياة المطمئنة وتيسر لهم المشقات التى تنشأ من الانتقال من بيئة إلى بيئة ، ويجب على الحكومة المصرية ألا تكتفى بذلك بل تبذل كل الوسائل لإغراء السودانيين بالتعليم فى مصر . وهنا قال الدكتور : لقد احتملت مصر الامتيازات الأجنبية أربعة قرون، فمن واجبها أن تحمل للسودانيين امتيازات فى التعليم نحو نصف قرن حتى يصلوا إلى المكانة التى وصلنا إليها فتعوضهم بذلك عما لحق بهم من ظلم فى الماضى ؛ وإلى أن يمكن إنشاء المدارس فى الجنوب كما فى الشمال ، يعد أى نوع من تعويق تعليم السودانيين فى مصر إجراماً فى حق الوطن

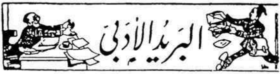
تشجيع التأليف المسرحى :

وضعت اللجنة المالية بمجلس النواب تقريرها عن ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . وقد جاء فى هذا التقرير أن اللجنة رأت رفع الاعتماد المخصص لمكافآت المؤلفين للمسرح من ٥٠٠ جنيه إلى ١٥٠٠ جنيه ، لأنها رأت أن المبلغ الأول تافه إلى حد نأى بكبار الكتاب عن الدخول فى ميدان التأليف المسرحى مما أدى إلى حرمان المسرح المصرى من جهود أولئك الكتاب وهبط بالمستوى الفنى للمسرحية المصرية فى الآونة الأخيرة بصفة عامة .

وسائل النهوض بالسينما :

ومما جاء فى ذلك التقرير خاصاً بالسينما أن اللجنة رأت فى العام الماضى ضرورة وضع تشريع ينظم صناعة السينما فى مصر ، ويضع حداً للعوامل التى أدت إلى هبوط مستواها الفنى ، فقد كانت صناعة السينما فى مصر قبل الحرب مزدهرة ، وكان لإقبال الأقطار الشقيقة وترحيبها بالأفلام المصرية أثر بارز فى هذا الازدهار ثم زاد ازدهارها إبان الحرب لعدم ورود الأفلام الأجنبية ، لكن رجال المال تدخلوا فى هذه الصناعة بغية الكسب ، واستعانوا ببعض الفنيين الذى لم تتوافر لديهم الدراية الكافية فى هذا الفن لحمل هذا العبء ، ومن ثم هبط المستوى الفنى ، مما أثار الشكوى من ضعف الأفلام . وإلى جانب هذا التشريع رأت اللجنة وجوب إيفاد بعثة فنية إلى الخارج لتزود بأحدث ما وصلت إليه هذه الصناعة ، كى تساير نهضتنا السينمائية جميع مراحل التطور السينمائى . ولكن الوزارة لم تخط نحو هذا الملاح أية خطوة ، فالتشريع لم يصدر ، والبعوث لم توفد . لهذا تكرر اللجنة رغبتها فى وضع هذا التشريع سريعاً كما ترى إدراج الاعتماد اللازم فى ميزانية إدارة البعثات لإيفاد أربعة شبان إلى أوربا وأمريكا لدراسة فنون الإخراج السينمائى وغيرها مما يتعلق بصناعة السينما . وتقترح اللجنة لدعم هذه الصناعة وتوجيهها إنشاء مجلس أعلى للسينما يضم الفنيين الممتازين ، وترى اللجنة أن من وسائل التشجيع وضع جوائز قيمة للذين ينتجون أحسن الأفلام العربية فنياً واجتماعياً ، لأن هذه الجوائز تحفز كبار المنتجين على خوض هذا المضمار . واللجنة لا تردد فى أن تخطو هذه الخطوة من جانبها فترى إدراج ٥٠٠ جنيه جائزة لأحسن فلم ينشأ خلال العام ، على أن يكون المجلس الأعلى هو الحكم فى وضع شروط هذه الجائزة وتقدير الفيلم ومنحه الجائزة التى يستحقها .

العباس



التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود :

جاء في مقال الأستاذ عبد المتعال الصعيدى المنشور فى العدد ٧٦٤) من (الرسالة) الغراء تحت هذا العنوان ما يلي : «ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا له... الخ »

قلت : إن هذا لا يتسق والتسلسل الزمنى للتاريخ ، اذ كيف تقضى الروم على دولة اليهود وتجلوهم من فلسطين لأنهم كذبوا المسيح وحاولوا قتله قبل ظهوره ؟

والذى تذكره المراجع التاريخية أن الروم احتلوا أورشليم على يد قائدهم بمبيوس قبيل ظهور المسيح ، وظلت البلاد تحت حكمهم حتى استولى عليها العرب زمن الخليفة العادل عمر ابن الخطاب .

أما تدمير أورشليم وتشتيت شمل اليهود للمرة الثانية فى التاريخ — بعد وقيعة نبوخذ نصر بهم — فكان سنة ١٣٥ ميلادية فى عهد الأمبراطور الرومانى دريانوس ، وذلك بعدان نفد صبر الروم من كثرة الثورات التى كانوا يقومون بها والدسائس التى يدسونها لكى تقوم لهم قائمة إلى ماشاء الله ...

وللأستاذ الصعيدى تحياتى وإعجابى .

(بغداد) علي الشوبكي

إلى الأستاذ علي بك ملوي :

جاء فى عدد الرسالة (٧٦٤) فى مقالك «القتل فى الشرائع» أن استشهدت على القتل فى الأنجيل بما جاء فى هذه الآية :

«سمعتم إنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لهم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيسر فحول له الآخر أيضاً » .

وهذه الآية لا تتضمن فى معناها سوى الحض على التسامح وعدم مقابلة الشر بمثله ، ولا نلمح فيها جانباً يشير إلى القتل ؛ وقد ذهبت نتيجة لذلك إلى أن الإنجيل تساهل فى عقوبة القاتل . والصحيح أن الإنجيل نص على عقوبة القاتل نصاً صريحاً فى الآية التالية من انجيل متى :

« سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال يا أحمق يستحق نار جهنم » .

فاذاً نستنتج مما تقدم أن الإنجيل لم يحرم القتل ووضع له عقوبة فحسب بل حرم ماهو أقل منه بدرجات .

الرملة — فلسطين رزق عيسى زعرور

أسس التعليم الأولي :

أخرج الأستاذ «خورشيد عبد العزيز» المعلم بمدرسة «دميرة» باكورته الأولى . أسس التعليم الأولى فى مصر «وكان ذلك نتيجة سنوات قضاها المؤلف فى مزاولة مهنة التعليم ، وهو فى كتابه هذا يعالج مشاكل مختلفة تمس المعلم والتلميذ وغير ذلك مما هبط بذلك الضرب من التعليم . وهذه المشاكل إن عولجت فستظهر ثمرات التعليم الأولى فى مصر ، وسيلمس المواطنون تلك الرسالة التى يؤديها المعلم الأولى . ولم ينس المؤلف أن يسجل فضل رجالات مصر العاملين على نهضة التعليم وفى مقدمتهم أستاذنا الجليل الزيات وإنا لنحيى فى المؤلف هذا المجهود والله ولى التوفيق .

علي زين العابدين منصور

تنبيه لا بد منه :

كثيراً ما يخلط الكاتبون بين استعمال (ثم) العاطفة و (ثَم) التى بمعنى هناك للشيء البعيد دون القريب ، وذلك بإلحاقهم التاء المفتوحة والمربوطة على كلتيهما دون مراعاة الأصل . والصواب

ألا يدخل (ثم) العاطفة سوى التاء المفتوحة لا غير . كقول من قال :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

أو كقول الآخر .

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لايعنينى

أما (ثم) السكانية التى بمعنى هناك ، فلا يلحق بها إلا التاء المربوطة تمييزاً لها من اختها العاطفة ..

وكلاهما يستعمل فى لغة البيان ، غير أن ثمت العاطفة ترد فى الأعم الأغلب فى الشعر دون النثر وذلك للضرورة التى يقتضيها الوزن فى سياق القصيد . فتنبه شكر الله لك .

(الزيتون) عرنان

المجمع اللغوى وتشجيع الانتاج الأدبي:

وافق المجمع اللغوى على اجراء مسابقة جديدة لتشجيع الانتاج الأدبى وتوزيع جوائز على الفائزين على الأساس الآتى :

مائتا جنيه لكل من أحسن انتاجا من الشعر العربى الفصيح سواء كان مخطوطاً أو مطبوعا ومن أحسن قصة وضعت بالعربية الفصحى سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة منذ أكتوبر الماضى إلى أكتوبر القادم على الا تقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط .

ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أثر الحروب الصليبية فى الأدب العربى فى مصر والشام . ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أبى الفرج الاصفهانى وكتاب الأغانى وألا يقل البحث المقدم فى كليهما عن مائتى صفحة من القطع المتوسط .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع اللغوى صورتين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المتقدم للحصول على الجائزة وذلك فى موعد لايتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ والمجمع سيحتفظ بنسختى الانتاج الفائز وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل صورة يقدمونها وتقدم الموضوعات المتبارى عليها باسم لجنة الأدب بالمجمع .

قصة فتـــــاة

(بقية المنشور على صفحة ٣٢٦)

كتفها قد تدلت فى فراغ الخصر واستقرت على الجانب ؛ وشفتاها القرمزيتان قد انفرجتا عن ثغرها الشتيت لتلقى التحية ثم تواصل الحديث . وكانت الجوقة حينئذ تعزف لحناً رقيقاً رفيقاً ينسجم مع شحوب الضوء وهدوء المكان ونشوة الجلاّس ، ولكنها جعلت الموسيقى دَبْر أذنها وفضلت أن تتكلم على أن تسمع ، فأخذت تناقلنى على الطعام شهى النوادر وطلىّ الأخبار حتى جرها الحديث إلى أنشودتها الغرامية المعتادة ، فعطفتها برفق إلى حديث يوم الأحد الماضى وسألتها : لعلك فى هذا الأسبوع قد وجدت النور الذى تفتقدين ، والسلام الذى تنشدين !

فقالت وهى تنغض رأسها إلىّ : أى نور وأى سلام وقد شد الله عضد شيطانى بشياطين أُخر ؟ لقد وجدت فى بنتَ أختى وأترابها من الإغواء ما يضل العابد بلفظة ، ويفتن الراهبة فى لحظة !

فقلت لها : إذن لا بدّ من الرجوع إلى العزبة .

فقالت : أرجع إلى الوتد والحبل ؟ لا يا سيد سينجان ! دعنى بربك أجرب حظى مع الذئب !

لم أكن بعد ذلك فى نصيحتى لبلانكيت إلا كمن يرقم على ماء أو ينفخ فى رماد ، ففوضت أمرها إلى الله ثم افترقنا على غير ميعاد .

(للقصة بقية) احمد حسن الزيات

نصويب :

فى مقالة (نسمة قروش) فى العدد (٧٦٥) :

فاستقرا على ما فى يدى	صوابها	فاستقر على ما فى يدى
غوايتهم إليها	»	توانبهم إليها
حرباً عليه ليس معها	»	حرباً عليه حرباً ليس معها
فأفرضت روعها	»	فأفرخت روعها ؟
درت أمس بشحاذة	»	مررت أمس بشحادة
يرى أطفال الناس	»	وهو يرى أطفال الناس
ولكن أهذا ذنب	»	ولكن هذا ذنب

وفى مقالة (حكمة القدر) فى العدد (٧٦٣) :

بذكر الإيمان	صوابها	يؤكد الإيمان
فاكتنفه حاجة	»	فاكتنفه صاحبه

الكتب

ديوان أبي فراس الحمداني

حققه وحرّره ووضع فهارســـه

الدكتور سامي الدهان

دكتوراه دولة فى الآداب من باريس مع مرتبة الشرف الممتازة

المصر الحمدانى من أزهى عصور الأدب العربى عاش فى ظله نهرة من الشعراء خلد شعرهم على الزمان ، وحفظت لهم العربية أسهم فى بطون الكتب يتداولها جيل بعد جيل مخطوطة بعد مخطوطة حتى كانت الطباعة فلم يلقوا منها ما لقى أقرانهم ، ولم ظهروا على نورها كما ظهر أندادهم ؛ فظلوا ظلماً لا يقره الأدب وفيع وفيهم : النامى والناشىء والصنوبرى وكشاجم وأبو فراس السرى الرفاء ، وكلهم فحول أقوياء لو تفرقوا على العصور العربية لكان كل منهم واحدها .

ولكن هذا الظلم قد انتهى — والحمد لله — فيما نعتقد ، انقضى أجله فيما نرى ، بعد أن تصدى لهذا العصر الحمدانى من عاصمة بنى حمدان فى القرن العشرين الأديب الباحث المحقق الدكتور سامى الدهان ، يسعى فى جمع تراث العصر الحمدانى كله ليظهره بين الناس كاملاً يزهو فى القرن الرابع عشر الهجرى كما كان فى القرن الرابع . فهو يعمل فى اختصاص دقيق كما يعمل علماء الغرب شعرائهم سواء بسواء .

وهو إذ يخرج لنا اليوم « ديوان أبى فراس الحمدانى » نرى فى طيات عمله تهيئة كاملة ، وإعداداً شاملا لشعراء العصر كله ، نرجو أن نرى أثره قريباً فيما ينشر من نصوصه ويظهر من متونه . ونلمس هذه المعرفة الشاملة للعصر الحمدانى مما أثبت لنا حضرة الناشر فى حواشى « الديوان » وتعليقاته ، من وقوف على مخطوطات العصر ، وشغف بمراحله ، واضطلاع بكل ما فيه من شعر ونثر ، وتاريخ وسير .

ونرجو أن يزهو الشـــعراء الحمدانيون جميعاً بعد قليل بدواوينهم كاملة كما يزهو اليوم « أبو فراس » بديوانه الجديد الذى حققه ونشره الدكتور الدهان بعد جهد ناصع طويل وجد مثمر كبير ، فقد مضى الشاعر وخلف بعده ما شدا به فى جولاته ، وما كان منه مع تلك الحياة القريبة ما بين طرفيها ، من شعر جمعه ديوانه على تقصير فى الاستيعاب ، وتخلف فى تحرير الكلمات ، وجنف عن إقامة الأوزان ، وبعد عن التيسير بالضبط والشرح .

وغبر الديوان يخرج من طبعة إلى طبعة حاملا مع الأوزار الأولى أوزاراً أخرى ، والناس قانعون من شعر الشاعر بما صح لهم فى مبناه ومعناه ، أو بما لان لتوجيههم فاستقام ، متخففين مما استعصى على الفهم ، وند عن الإقامة ، فماش من الديوان قله . هذا غير شعر غاب عن النشر كثير خفى بخفائه جانب من حياة صاحبه ، وأخفى الاستغلاق جانباً آخر . وما لدراسة يتنازعها هذان نجاء من الزلل أو قرب من السداد .

ذكرت ذلك كله وأنا أنظر فى ديوان أبى فراس الجديد الذى أخرجه حضرة الباحث المحقق ، فقد وجدتنى بين أجزاء ثلاثة كبار تربى صفحاتها على الثمانمائة ، فى ثوب جد أنيق . وكنت أجدنى بالأمس القريب بين صفحات تبلغ المائة أو تزيد عنها ، فى رثاثة وبذاذة . وجدتنى أطالع جهداً جديداً على النشر فى الشرق طالما رقبناه ورجوناه ، فهذا استقصاء فى المقابلة بنسخ من الديوان جاوزت الأربعين خف إليها الدكتور يحصيها ويجمعها ، وكانت هنا وهناك فى مكتبات الشرق والغرب ، أفادت الكثير بما زادت وحررت . وهذا شرح لابن خالويه على الديوان بين تمهيد لقصائده وتفصيل لحوادثه وإبانة عن غوامضه لا عهد للناس به من قبل . وغير هذا وهذا مما جاء من إشارات إلى أماكن شعر أبى فراس من كتب الأدب والتاريخ ، وفيها نفع واستئناس . ثم ما كان من إشارات إلى أماكن الحديث عن أبى فراس فى هذه المراجع . صنع الدكتور الدهان بديوان « أبى فراس » هذا وغيره فوفاه ضبطاً وشرحاً وزوده بفهارس عشرة ، بعضها للشعر المروى فى كتب الأدب والتاريخ ، وبعضها لما تفردت به هذه الطبعة ولم يحمله ديوان لأبى فراس قبل ، وبعضها للمعانى والأبواب ، ثم القوافى والأعلام والقبائل والأماكن والكتب والموضوعات .

ذاك عدا دوحة انتظمت بأصولها وفروعها الأسرة الحمدانية كما استخلصها الدكتور الناشر من شعر الشاعر وما ضمنته المراجع . وعدا جدول تكاد العين تضل فى سعته جمع المقابلات

بين القصائد والنسخ الخطية فى بسط واستيفاء .

هذا ديوان أبى فراس الجديد يدلل على ما بذل فيه من جهد وما حمل فى سبيله من عناء . وقد حبس الدكتور الناشر على هذا العمل نفسه سنين عشراً بين إعداد وطبع . وما عشر سنين بكثير على مثل هذا العمل الجليل . وما أحوجنا ونحن بسبيل إحياء نصوصنا القديمة أن تكون لنا التفاتة إلى مثل هذا الاستقصاء لا نبالى امتد بها الأجل أم قصر .

وبين أيدينا مؤلفات عنى بها مستشرقون كتب لها الخلود وليس عليها إلا أن تماد طبعاً ؛ وليس بدونها إن لم يفضلها أبو فراس الحمدانى . فما فى الظن أنه تبق لأبى فراس شىء فى عالم الغيب لم يهتك عنه الدكتور الدهان ستراً ، ولا مكتوبة من ديوانه لا تزال سراً . فما أحقه من عمل بالثناء ، وأجدره من نهج بالجزاء ، وأولاها من طريقة بالاقتداء ... ابراهيم الابيارى

ابراهيم بن سيار النظام

تأليف الدكتور عبد الهادي أبو ريده

كتاب فلسفى أخرجه منذ عهد غير بعيد الدكتور عبد الهادى أبو ريدة المدرس بكلية الآداب وقد عرض فيه حياة النظام وآراءه الفلسفية سواء كانت آراء طبيعية تتصل بالجسم والحركة والخلق والكمون والتداخل ، أو آراء اخلاقية أو سياسية تتصل بالخير والشر والجبر والاختيار والإرادة والاستطاعة ، عرضها فى نهج نظيم وأسلوب قويم . وقد تحدث الدكتور أبو ريده إلى جانب هذا عن النظام من الناحية الفكرية فبين رأيه فى الحديث ومسائل الفقه وتفسير القرآن وإعجازه ، وذكر طرفا من أدبه وشعره ، ولكنه طرف موجز مقتضب ؛ فالكتاب كتاب فلسفة وليس بكتاب أدب . وقد خصص الدكتور أبو ريده فصلين فى الكتاب أحدهما عن الله والآخر عن الإنسان لعلهما أروع ما فى الكتاب .

ولى كلمة موجزة أحب أن أوجهها إلى الدكتور أبو ريده بمناسبة إخراجه كتاب النظام والتمهيد للباقلانى وهى أننا كنا ننتظر منه شيئاً آخر ؛ فالدكتور أبو ريده يكاد يكون ألمانيا فى حياته الخاصة ولا يرى إلا متكلما بالألمانية بين ردهات الكلية ؛ ولكن للأسف لم تستفد المكتبة العربية من ألمانيته شيئاً يذكر . وخليق به أن يترجم لنا عيون كتب الفلسفة الألمانية ويحدثنا عن الفلاسفة الألمان حديثاً مستفيضاً صحيحاً . ويظهر أن الدكتور يحس بقلة إنتاجه الفكرى وقصر مدة تدريسه بالجامعة وهى سنتان فيلجأ إلى تلاميذه وغير تلاميذه فى البحث ومراجعة التجارب . والواقع أن الأستاذ أبو ريده فى وسعه أن ينتج كثيراً وأن ينتج شيئاً مرضياً أيضاً ولكنه يؤثر العافية ! كتاب النظام كتاب قيم ما فى هذا شك وقد ألجأ إلى تحليله فى فرصة أخرى .

ابراهيم جمال الدين الرمادى

شباب قريش

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

خصبة ممتعة تلك الأبحاث التى تكشف لك نواحى محجبة لم يجس خلالها فكر ، ولا حلق فى أرجائها خيال ؛ فتكون بمثابة الرائد فى عالم الفكر ؛ يشوقك ويحفزك إلى التطلع والمغامرة بما يعرضه من صور وما يغريك به من مشاهد ؛ فيكون أثرها فى إثارة الهمم وشحذ القرائح عميقاً مثمرا من هذه الأبحاث — شباب قريش — فى العهد السرى للاسلام — فقد تناول — المؤلف — جانباً من تلك الجوانب الكثيرة المتشعبة فى حياة الدعوة الإسلامية ، وهو أثر هذه الدعوة فى نفوس الشباب وتدفق تيارها القوى الفعال فى نضارة قلوبهم الزاخرة الجياشة وكيف كان إنفعال هذه النفوس بها وإيمانهم بمادئها ! حتى غدت تلك المبادئ وقد أصبحت جزءا من كيانهم الروحى والعقلى والخلقى ؛ فوثبت تلك المبادىء بشبابهم واكتست الدنيا من إخلاصهم ونشاطهم ذلك الرداء الروحى والاجتماعى ؛ البهيج حول تلك الرسالة وتلقى شباب قريش لها وبذل كل ما يدخل فى الطوق بذله فى سبيل تبليغها والتمكين لها .

أقام المؤلف هذا البحث فوفق فى تجلية هذه الناحية وفتح لنا طريقاً جديداً لمن يريد أن يعالج هذه النواحى من الجانب النفسى والاجتماعى والتاريخى . وقد مهد المؤلف لتاريخ أولئك الشباب بنظرات عن سبق الشباب إلى الإسلام ، وأثر الشباب فى الإسلام وأسماء الشباب والشابات ؛ ثم أخذ يقدم لك هؤلاء الشباب فى صور موجزة طلية تدعو إلى الإيمان بأن كل دعوة لا يناصرها إخلاص الشباب وحمية الشباب وفداء الشباب مقضى عليها . نأمل أن يحدث هذا الكتاب فى نفوس شبابنا ما أحدثته الدعوة الإسلامية فى نفوس شباب قريش . محمد عبد الحليم أبو زيد